شِعرُ طَلائعِ بن رُزِّيك

(دراسة موضوعيّة فنيّة)

رسالة تقدم بها الطالب

ماجد عطيّه حميدي الغَزِّي

إلى

مجلس كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة الفردوسي مشهد

وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف الأستاذ الدكتور:

عباس طالب زاده شوشتري

١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ﴿٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

سورة الطلاق: الآية (٢-٣)

الإهداء

إليك ... سيّدي يأمير المؤمنين، نفثات شعب جريحٍ منذ قرون ومازال يئن ....

قــفْ كوكبــاً فــي الــدَّياجي أيُّهــا النجــفُ ... فمـــا عهـــدناكَ إلاّ هكـــذا تقـــفُ
وزاحـــمِ الفلـــكَ الـــدوّارَ تفجـــؤه ... فيضــاً مــن النــور منــه الكــون يغتــرفُ
يــا قبلــةَ النــورِ كــم خُضــنا إليــك لظــى ... وكــم نزفنــا دمــاً فــي إثــر مــن نزفــوا
ولـــم يكـــن دمُنـــا رخصـــاً فننزفَـــه ... لكنّـــه شـــرفٌ مـــا بعـــده شـــرفُ
جئنـــاك أفئـــدةً حـــرَّى يعلِّلهـــا ... بـــأنَّ مـــاءَ علـــيٍّ ســـوف ترتشـــفُ
جئنـــا تشـــد خطانـــا نحـــوه ذممٌ ... كبــرى.. فمــن رهبــةٍ نــدنو ونرتجــفُ
يـــا ســـيِّدي فقـــراءُ الأرضِ قـــد شـــبعوا ... فقـــراً ، وحـــولهم التبـــذيرُ والتـــرفُ
قــد أصــبحَ الفقــر فــي أيامنــا رجــلاً ... فــأين ســيفُك للمظلــوم ينتصِــفُ ؟
خلــف القصــور فُضــولٌ مــن صــرائفنا ... وفــي القصــور لهــم مــن لحمنــا غــرفُ
لـــو حنّطونـــا لزيّنـــا متـــاحفَهم ... لأننـــا لمآســـي عصـــرنا تُحـــفُ
يـــا ســـيِّدي وبنـــا شـــكوى ننـــوءُ بهـــا ... أعلـــى مراتبهـــا الإهمـــالُ والتلَـــفُ
تناهبتنـــا متاهـــاتٌ مروّعَـــةٌ ... فـــي كـــلِّ أرضٍ لنـــا قبـــرٌ ومنعطَـــفُ
أزرتْ بنـــا كلمـــاتٌ وهـــي مُضـــمَرة ... مـــاذا ســـتفعل فينـــا حـــين تنكشـــفُ؟
صَـــمْتٌ يبعثرنـــا فـــي كـــلِّ ناحيـــةٍ ... ومـــا لنـــا عـــن جحـــيم البـــوح منصـــرفُ
ونخلـــةُ العمـــرِ فـــي أعماقِنـــا سُـــلبَتْ ... تُجنـــى ويُرمـــى علينـــا الغـــبن والحشـــفُ
ونســـتظلُّ بهـــا رغـــمَ الضَّـــياع أســـىً ... فالجـــذرُ منّـــا ومنّـــا الكـــدُّ والسَّـــعَفُ
نقـــولُ فـــي كـــلِّ هـــولٍ يَســـتَجدُّ بنـــا ... لعـــلَّ مـــن بعـــد هـــذا .. تُرفـــعُ الصُّـــحُفُ
لعـــلَّ يومـــاً تمـــوتُ الـــرِّيحُ فـــي دمنـــا ... لعـــلَّ يرتـــاح مـــن أكنافنـــا كنَـــفُ
لعـــلَّ يَصْـــدفُ أن تصـــفو الحيـــاةُ لنـــا ... و كيـــفَ نحيـــا حيـــاةً صـــفُّوها صَـــدفُ
لكـــنْ تبّـــدَتْ لنـــا أحلامُنـــا جُثَثـــاً ... وحُوصِـــرَ الوقـــتُ لا خطـــوٌ ولا هـــدفُ
وذنبُنـــا أن رَضـــينا أن نعـــيشَ هنـــا ... يـــا للفجيعـــةِ .. حتـــى العـــيش يُقتـــرفُ
علّمتنـــا الصـــبرَ فـــي البلـــوى فـــلا جـــزعٌ ... يـــزري بنـــا وبنـــا مـــن صـــبركم أنـــفُ
وأنـــتَ أولُ صـــوتٍ فـــي ضـــمائرنا ... وأنـــتَ أجمـــلُ وصـــفٍ فيـــه نتَّصِـــفُ

*الشاعر: علي الإمارة

شكر وامتنان

اللهم لك الحمدُ على ما أنعمتَ وهديتَ، ونعوذ بك اللهم من الزلل والزيغ، ونستعينك في أمورنا كلها. وصلِّ اللهم على محمدٍ عبدك ونبيك وأمينك وصفيك وصنيعتك، وعلى أهل بيته الذين أذهبتَ عنهم الرجسَ وطهرتهم تطهيراً، وعلى أصحابه الذين اهتدوا بهديه، وساروا بسيرته.

وبعد...

فإنّ الإنسانَ مدينٌ لخالقه على كل نعمة له في هذا الوجود، ومن نعمه – تعالى– أن مدّ الانسان بمن يعينه في هذه الدنيا، وهذا الجهد، الذي بين أيدينا، مدين بوجوده لتلك النعم الكبيرة، ومهما عدّ الباحث وعدّد فانه لايمكنه أن يحصيها "وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا "ابراهيم/٣٤.

من أوجبوا عليَّ شكرهم كُثر، سائلاً الله تعالى أن يجزيهم بالإحسان إحساناً وأن يمنَّ عليهم بكرمه ولطفه. وأولهم والدايَ اللذان أفنيا عمريهما فينا، لايبغيان في ذلك جزاء ولاشكورا، وعائلتي التي منحتني الكثير وحرمتها الكثير، وأصدقائي الذين حملوا همَّ هذا البحث كما حملته، أو أكثر. وسأخص بالذكر منهم أخي وصديقي رحيم الطائي الذي تتصاغر الكلمات أمامه ومهند الدراجي وماضي الزيدي وسعد خليف وعزيز العبادي وسليم العائشي، وعلي حسن هذيلي وسلام عبد الواحد المالكي وغافل شاتي وحسن الزبيدي وغانم العبودي وأخوتي في الجامعة وغيرهم الكثير.

والشكر الجزيل والثناء الجميل لرئيس قسم اللغة العربية ولجميع أساتذة وإداريي قسم اللغة العربية في كلية الآداب في جامعة الفردوسي، ومَن في مكتبة الأدبيات، لما بذلوه من جهد كبير، وما تعاملوا به من خلق جميل.

الباحث

المحتويات

المقالة ا. الموضوع	الصفحة
المقالة II. المقدمة	١-٤
المقالة III. التمهيد	٥-٣٣
المبحث الأول: قراءة في الواقع السياسي و الاجتماعي والثقافي في القرن السادس الهجري في مصر	٦
الواقع الاجتماعي	١٢
الواقع الثقافي	١٤
المبحث الثاني:طلائع بن رزّيك الشاعر– الوزير	٢٠
عقيدته	٢٠
ثقافته	٢٤
طلائع شاعراً	٢٥
طلائع وزيراً	٣١
المقالة IV. الدراسة الموضوعية	٣٤
الفصل الأول	٣٤
المبحث الأول : المديح	٣٥
المبحث الثاني: الرثاء	٤٧
المبحث الثالث: شعر الجهاد	٥٤
المبحث الرابع: الغزل	٦٤
المبحث الخامس: الفخر	٦٩
المبحث السادس: الحكمة والموعظة	٧٥
المبحث السابع: أغراض أخرى ٥	٧٧

المقالة ٧. **الدراسة الفنيـّة**	٨٠
الفصل الثاني: بناء القصيدة	٨١
المبحث الأول : بناء النص الشعري: المطلع–المقدمة–التخلص–الخاتمة	٨١–٩٦
المبحث الثاني : اللغة والأسلوب	٩٦
الفصل الثالث: الصورة الشعرية	١١٣
مهاد نظري	١١٣
المبحث الأول: الصورة التشبيهية	١١٥
المبحث الثاني: الصورة الاستعارية	١٢٠
المبحث الثالث: الصورة الكنائية	١٢٤
المبحث الرابع: الصورة المجازية	١٢٥
المبحث الخامس: الاقتباس والتضمين	١٢٧
الفصل الرابع:الموسيقى الشعرية	١٣٧
أولا: الموسيقى الخارجية: أ– الأوزان ب– القوافي	١٣٧ ١٤١
ثانياً: الموسيقى الداخلية	١٤٨
الخـــاتمة	١٦١
قائمة المصادر والمراجع	١٦٣
الملخص باللغة الانجليزية	١٧٠

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شَرَعَ الإسلامَ فسهّلَ شرائعَه، وأعزَّ أركانَه، وجعله نوراً لمن استضاء به، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم به، ربي واجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما سبق، والخاتم لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، وعلى أهل بيته الذين بهم يُستعطَى الهدى، ويُستجلَى العمى. اللهم اجعلنا ممن يهتدي بهديهم، ويعتصم بعصمتهم، واجعلهم حجة لنا، ولا تجعلهم حجةً علينا.

وبعد

فانّ التاريخ يكتبه الأقوياء كل بحسب قوته قائداً كان أم وزيراً ام شاعراً ام كاتباً، ولهذا نجد انّ الفاطميين سجّلهم التأريخ كصفحةٍ مهمة في التأريخ الإسلامي عموماً وفي مصر على وجه الخصوص، على الرغم مما تعرضتْ له دولتهم من صراع استمر معها منذ ولادتها حتى أنفاسها الأخيرة، في محاولة لإجهاضها لا لشيء الاّ لأنها تحمل ذاك الطابع المذهبيّ الذي رفعته شعاراً لها وتمسّكت به – بخلاف غريمتها العباسية التي رفعته أولاً فما أن تم لها الأمر حتى نقضت غزلها – وبديهي أن لا يروق التوجه الفاطمي للكثيرين.

وعلى مدى الوجود الفاطمي في مصر الذي نيّف على القرنين، فانها لم تنل حظها من الدراسة في كتب التأريخ والأدب والفن والدراسات الجامعية الاّ في السنوات الأخيرة من القرن الماضي ، وبدايات هذا القرن ، وقد غابت أسماء كثيرة في سفر هذه الدولة وفقدت آثار جليلة من كنوز وتحف ودواوين لشعراء كبار؛ كان من جملتهم طلائع بن رزّيْك الذي لم ينل ما يستحق في تلك الدراسات .

وفي كل الكتب التي كتبت عن الفاطميين – عموماً– تجد اسم الوزير أو الشاعر طلائع بن رزيك موجودا، إمّا كقائد فاطمي أو مصري أو شاعر أو وزير ، ومن خلال اطّلاع الباحث على أغلب الدراسات والأبحاث ، فلم يجد من كتب في (شعر طلائع) من الناحية الموضوعية والفنيّة، بشكل خاص ، وإنما كانت هناك بعض الدراسات التي درست العصر الفاطمي ومرّت به مروراً، أو من درسه كأحد شعراء بلاط بني رُزّيك كما فعلت الباحثة أماني الخوسكي في دراستها الموسومة بـ (الشعر في بلاط بني رُزيك: دراسة فنية) من الجامعة الإسكندرية في مصر عام ٢٠٠٩ م ، و(شعر طلائع بن رُزيك: دراسة بلاغية) للباحث الزميل زمان عطا اللامي من جامعة القادسية في العراق عام ٢٠٠٦م ، والتي أفاد منها الباحث في الدراسة الفنية ، وكتاب (

شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام) للدكتور محمد علي الهرفي، كما أفاد الباحث من بعض الكتب التي تناولت الأدب في العصر الفاطمي أو التأريخ السياسي للدولة الفاطمية مثل كتابَي الدكتور محمد سلام زغلول (الأدب في العصر الفاطمي : الكتابة والكتاب، الشعر والشعراء)، (وفي أدب مصر الفاطمية) للدكتور محمد كامل حسين ، ومن كتب التأريخ ، أعتمد الباحث على جمع منها، وفي مقدمتها كتابَي المقريزي(اتعاظ الحنفا...و الخطط..) وكتاب العماد الاصفهاني (خريدة القصر وجريدة العصر) وغيرها.

وقد اعتمد الباحث على نسخة ديوان الشاعر التي جمعها وحققها محمد هادي الأميني في طبعتها الأولى سنة ١٩٦٤م.

ومهّد الباحث لدراسته بقراءة في مبحثين تناولت في الأول الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في القرن السادس الهجري تمهيدا لإبراز دور الشاعر في هذا القرن، وفي الثاني كانت محاولة للتعريف بعقيدة الشاعر وثقافته وشاعريته ودوره السياسي والأدبي كوزير وشاعر.

وتوزّعت الدراسة على أربعة فصول، كان الأول منها في الدراسة الموضوعية في شعر طلائع، إذ حاول الباحث قراءة الشاعر من خلال الأغراض الشعرية التي تناولها وجاءت في الديوان –كونه لم يجمع كاملا– وعرضها وتحليلها بشكل سريع لضيق المقام ، وكانت على سبعة مباحث: المديح– الرثاء– شعر الجهاد– الغزل– الفخر– الحكمة والموعظة– أغراض أخرى).

أما الفصول الثلاثة الأخرى، فقد توزعت داخل الدراسة الفنية، فكان الثاني –في التقسيم العام– يتحدث عن بناء القصيدة عند طلائع، وأهم أجزائها (المطلع، المقدمة، التخلص،الخاتمة)، وتوزع على مبحثين ، تناول الأول اللغة والأسلوب عند الشاعر، بدأه الباحث بعرض مفهوم اللغة والأسلوب عند القدماء والمحدثين ، أهميتهما في العمل الأدبي ، مشيراً الى أبرز مظاهر اللغة والأسلوب في شعر طلائع.

والفصل الثالث دار حول الصورة الشعرية، والحديث عن مفهومها عند النقاد القدامى والمحدثين، وتناول الباحث أنماطها البلاغية من حيث التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، وتوظيف التراث من خلال الاقتباس والتضمين.

وكان آخرها وهو الفصل الرابع في الموسيقى الشعرية ودورها في شعر طلائع، فكانت البداية بعرض ماهية الموسيقى وأهميتها وأنواعها، ثم الحديث عن الموسيقى الشعرية في شعر طلائع من

خلال الموسيقى الخارجية (الأوزان والقوافي) والداخلية من خلال المحسنات البديعية اللفظية والمعنوية مثل الجناس والطباق والتورية....

وأما الصعوبات التي واجهت الباحث فتمثلت في صعوبة الحصول على نسخة الديوان وبعد جهد كبير، وكذلك في الإختصار كثيرا في الدراسة الفنية وعدم ذكر كل شيء يخص الشاعر خوف الإطالة ، وفقدان ما يقارب من نصف شعر الشاعر الأمر الذي جعل الحكم النهائي في شعره غير منصف له وكأنّ العداء بقي ملازماً له حتى بعد رحيله!

وهذا البحث يقدّر قيمة الدراسات السابقة عليه – سواء أكانت أكاديمية أم دراسات نقدية جادة ضمنتها المصادر والمراجع والبحوث والدوريات... فلها الفضل في إنجاز هذا البحث .

وأعتمد الباحث المنهج التكاملي في الدراسة معتمدا المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي والموضوعي.

وبعد... فإن الشكر عرفانٌ للفضل وحفظٌ للجميل، ولقد كان لجهد الدكتور طالب زاده، وتواضعه الكبير وزرعه الثقة في الباحث، وتقديره لشخصيته وقلمه، الأثر الأكبر في إنجازه، فله من الباحث كلُّ الشكر وكل العرفان وكل الاحترام، كما يتوجه الباحث بالشكر الجزيل والعرفان بالفضل للأساتذة رئيس وأعضاء لجنة المناقشة، لما تكبدوه من عناء القراءة والمناقشة والتقويم، ما سيضفي على البحث الكثير من النضج والسداد.

وختاماً فمهما بذل الباحث جهده في التحليل واستخلاص النتائج،فإنه إنسان، مملوء بالنقص والسهو تمر به العثرات والهفوات، وان كان يسعى نحو الكمال،فإن وُفق فللّه الحمد والمنة، وإن أخفق فما أُبرئ نفسي، وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على رسوله الأمين، وأهل بيته الطاهرين، وأصحابه المخلصين.

الباحث

التمهيد

قراءة في الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي في القرن السادس الهجري في مصر:

الصالح الأرمني، طلائع بن رُزيّك، أبو الغارات، فارس المسلمين، وزير الديار المصرية ولد سنة (٤٩٥هـ) في أرمينية في آذربيجان، في أسرة جمعت بين الدين والدنيا، وكانت محبة للعلم وذلك في أيام الحاكم السلجوقي بركيا روق [١]، وهناك تعلم وحفظ القران الكريم وأتقن علوم الدين واللغة والأدب .

وكان الواقع السياسي آنذاك مليئاً بالصراعات، متمثلة في أقطابها الكبرى:العباسيين وخلفاؤهم في بغداد والفاطميين في مصر والفرنج والبيزنطيين على أعتاب الشام والجزيرة ومصر، وكانت مصر تعيش اضطرابات كثيرة بسبب النزاعات وضعف الخلفاء وسيطرة الوزراء والقادة على مقاليد الحكم، وخير مثال على ذلك، دخول بدر الجمالي الأرمني إلى القاهرة بطلب من الخليفة المستنصر الذي عجز عن قمع الفتن في بلاده، فتولى بدر تنظيم أمور الدولة، وأخمد الفتن فصار أمير الجيوش، وبيده السلطة القضائية وحكم الى سنة (٤٨٧هـ)، وجاء من بعده ولده الأفضل بن بدر، ثم المأمون البطائحي الذي قتل سنة(٥١٩هـ) [٢]، في الوقت الذي كانت الخلافة العباسية تعيش أصعب أيامها تحت النفوذ البويهي الذي لم يكن معه للخليفة دور يذكر، مما جعل الخليفة القائم بأمر الله أن يستعين بالسلاجقة للخلاص من البويهيين، فكان ذلك سنة (٤٤٧هـ) [٣]، فبدأ الصراع بين السلاجقة والفاطميين، ثم بدأت تتفكك قوة السلاجقة بعد وفاة ملكشاه آخر سلاطينهم الأقوياء سنة (٤٨٥هـ)، وقد خلف من الأبناء " بركياروق، ومحمود، ومحمد وسنجر" الذين اختلفوا فيما بينهم، فتشظّت البلاد وذهبت قوتُها.

في هذه الأوقات لم تنقطع الحملات الصليبية على أجزاء كبيرة من الجسد الإسلامي، واستطاعوا إقامة مملكة في القدس وإمارات في إنطاكية وطرابلس والرَّها...مستفيدين من الانقسام والتشرذم الحاصل بين فرق المسلمين.

في خضم هذه الأجواء العصيبة، ولد طلائع بن رُزَّيك، وليس بين أيدينا ما يشير إلى نسبه وبلده على وجه التحديد والدقة، إلا كونه من الأرمن معتمدين في ذلك على لقبه، وليس من الضرورة أن

---

(١) ينظر: ديوان طلائع بن رزيك: ص٥- تحقيق – محمد هادي الأميني- ط١-١٩٦٤-المكتبة الأهلية –النجف الأشرف

(٢) ينظر: الروضتين في أخبار الدولتين: ١: ٢٣-٢٤

(٣) ينظر: النجوم الزاهرة: ٥: ١١-١٢

يكون محل الولادة هو محل النشأة والتربية [١]، وقد ورد انه ينتسب إلى قبيلة غسان، القبيلة العربية التي كان منها أمراء الشام قبل الإسلام وكان الشعراء يمدحونه بذلك النسب.[٢]

أمّا عن شبابه وحياته قبل دخوله إلى مصر فلا نكاد نجد شيئا يخص ذلك الاّ ما ذكره المقريزي في خططه "أبو الغارات الملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، قدم في أول أمره إلى زيارة مشهد الإمام علي رضي الله عنه بأرض النجف من العراق في جماعة من الفقراء، وكان من الشيعة الإمامية، وإمام مشهد علي رضي الله عنه يومئذ السيد ابن معصوم، فزار طلائع وأصحابه وباتوا هناك فرأى ابن معصوم في منامه عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول له: قد ورد عليك الليلة أربعون فقيرا من جملتهم رجل يقال له طلائع بن رزّيك من اكبر محبينا، قل له: اذهب فقد ولّيناك مصر، فلما أصبح أمر أن يُنادى من فيكم طلائع بن رزيك فليقم الى السيد ابن معصوم، فجاء طلائع وسلم عليه فقصَّ عليه ما رأى فسار حينئذٍ الى مصر وترقى في الخدم حتى ولي منية بني خصيب "[٣]، ومن هناك بدأ طلائع بوضع يده على الصعيد المصري شيئا فشيئا، "فيكون طلائع قد بقي بالصعيد ما يقرب من عشرين عاما بين قوص وأسوان والأشمونين، وقد مهدت له هذه الإقامة بالصعيد كي يصبح نافذ الكلمة، ولاشك أنه خلال تلك السنين الطويلة قد مكن لنفسه بين أبناء الصعيد، ولعله اجتذب إليه جماعة منهم، وكان لسياسته وحسن أدائه وتحببه إلى رعيته أثر واضح في ولائهم له، فتقوّى بهم جندا، ومناصرين وعرف الخلفاء ومن التقى بهم من رجال القصر ونسائه، وكبار رجال الدولة بالقاهرة بقوة طلائع وقدرته، وما يملكه من جند ومالٍ، فاتجهوا إليه حين حزبهم الأمر يستنجدون به ضد طغيان عباس وابنه نصر بعد مذبحة القصر..."[٤]، ولم تذكر لنا المصادر عن صعوبات أو مشاكل واجهته في الصعيد، ولا غرابة في الاّ يواجه صعوباتٍ

---

(١) ينظر: مقدمة ديوانه: ٥

(٢) ينظر: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، تحقيق: حسين نصار، ط١،١٩٩٧، ص ٢١٧، الأدب في العصر الفاطمي(الشعر والشعراء): محمد سلام زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية،ب.ت، ٤١١

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية): تقي الدين المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط٢،١٩٨٧، ينظر: عيد الغدير في عهد الفاطميين: محمد هادي الاميني، مطبعة القضاء، النجف الاشرف، ب.ت، ١٧٦

(٤)الأدب في العصر الفاطمي (الشعر والشعراء)،٣٩٢

في الصعيد، لأن أغلب القبائل العربية وكذلك الأقباط في الصعيد كانت تربطها علاقات طيبة مع الفاطميين وقد وقفت معها، وساعدوهم في حملاتهم على مصر وبخاصة حملات ما بين سنتي ٣,٨و ٣,٩ التي توجهت نحو البهنسا والأشمونين واستولت عليها، لأنّ أغلب القبائل العربية من الأشراف القرشيين كانت بها [١]، وعاش طلائع ما تبقى من حياته في أحضان الدولة الفاطمية في مصر، متدرجا في المناصب حتى بلغ أعلاها رتبة، في أيام الخليفة الفاطمي الظافر، عندما كان واليا على الصعيد، فلما قتل الظافر، جاءت الفرصة ليكون الرجل الأول في مصر، وذلك بعد تنصيب الفائز خليفة بعد الظافر، وكان طفلا صغيرا، قد قتل عباس الصنهاجي وابنه نصرٌ الخليفةَ الظافر، وقام عباس بقتل أخويه وابن عمه وجماعة أخرى أمام عينيه ، في قصة يطول سردها [٢]، فلم يجد رجال القصر ونسائه من منقذٍ لهم غير طلائع بن رزيك، فأرسلوا إليه بكتبهم يستصرخونه فيها ،ومعها شعور نساء القصر، وممن كتب إليه القاضي الجليس: [٣]

دهتني عن نظم القريض غوادي وشفَّ فؤادي شجوُه المتمادي

فأين بنو رزّيك عنهم ونصرُهم وما لهم من منعةٍ وذياد

أولئك أنصار الهدى وبنو الردى وسم العدا من حاضرين وباد

تدارك من الإيمان قبل د ثوره حشاشة نفس آذنت بنفاد

فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد

وعندما وصل طلائع استُقبل استقبال المنقذ، فتعلقوا بحباله، وكانت لدى أكثر مَن بالقصر معرفة به، فاخرج الظافر من البئر الذي القي فيه بعد قتله، ومشى في جنازته حافياً مكشوف الرأس، وفعل الناس مثله، ومن بعد اخذ يوطد الأمن في مصر، محاولا أن يعيد إلى الفاطميين هيبتهم، والى مصر قوتها، كي تواجه القوتين المتربصتين بها، الفرنج من جهة والزنكيين من جهة أخرى واخذ

---

(١) دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية: ممدوح عبد الرحمن الريطي، مكتبة مدبولي، مصر، ط١، ب.ت، ١٥٥-١٥٦ .

(٢) ذكرت في أغلب المصادر التي تناولت الدولة الفاطمية، منها، سير أعلام النبلاء للذهبي ٢,٦/١٥، خطط المقريزي ٣/٢.، النكت العصرية لعمارة اليمني:٣٣، الروضتين لأبي شامة٢٨٩/١، اتعاظ الحنفا للمقريزي ٣/ ٢١٦-٢١٨، النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة لابن تغري بردي ٥/ ٢١٨ وغيرها.

(٣) خريدة القصر:١٩/١.

يستقل بالأمور ودبّر أحوال الدولة " وكان فاضلاً سمحا في العطاء، سهلا في اللقاء، محباً لأهل الفضائل، جيد الشعر" [١]، وقد خلع عليه الخليفة الفائز خلع الوزارة وأمر بإنشاء سجل نُعت فيه بـ "الملك الصالح " ليكون أول من يلقب به من وزراء الفاطميين [٢]، وذلك سنة (٥٤٩هـ)، والذي كتب السجل ابن الخلال " وكان سجلا في غاية الطول والكبر من إنشاء الأجلّ الموفق بن الحجّاج بن يوسف بن علي بن الخلال "[٣]، وقد عدّ هذا السجل وثيقة مهمة في دراسة طلائع، وتبرز فيه الثقة الكبيرة التي قلّدها إيّاه الخليفة الفاطمي، إذ ولّاه كلَّ أمور الدولة وجعل القصر والرعايا والأموال والقضاة تحت تصرفه، وقد ورد فيه مدح وإطراء وبيان لصفات طلائع بأسلوب أدبي رائع ومن هذا السجل " **ولقد حزت من المآثر ما فقت به أهل عصرك قدما وسبقا، وسموت بجمالك الى ذوي مجدٍ لا تجد الهمم العلية إلى تمنيّها مرقا، وما زلت في كل أزمنتك سلطانا مهيباً، وفرداً في المجالس لا تدرك له الأفكار ضريبا، ومطاعا تبارك بأنبائه الأندية والمحافل، وهماما تخضع باسمه المهائب، وتذعن الجحافل، وسيّدا تلقى اليه مقاليد التقدمة والسيادة، ومعظما ليس على ما خصّه الله به من التعظيم موضع الزيادة.... تقلدّت جلائل الأمور فلبستها نباهة، وباشرتها فأحرزت بمناقبك جلالة ووجاهة وتفخيما.... فأنت البَرُّ التقيّ النقيّ الحسيب الطاهر المبرأ من كل دنس وعيب، والمرضِي خالقَه بالأفعال التي لاينجو بها لبس ولاريب، وواحد الدنيا لا يسامى ولا يطاول، والملك الأوحد الذي برعت أدوات كماله فما يُشابه ولا يُماثل، جعلتك الفضائل غريبا في الأنام، وخصّك الحظ السعيد بفطرة تهرب أن تأتي بمثلها الأيام، وحويت من الأخلاق الملوكية ما قصر بعظماء الملوك عن مجاراتك، واقتنيت من الحكم والمعارف ما جعل كافة العلماء مفترقين بعظم فضل ذاتك، وقرنت بين من عزُّه اذفرارُ البيت ولطافة حكم القلم، وكاثرت فيك المعجزات لجمعك ما افترق من مفاخر الأمم، فما أشرف ما أفردك الله به من كمال الشجاعة والبراعة، وتوحّدك بمجده من معجزات تضيق الصارم واليراعة، فسيفك مؤيد في قطّ العضو والهام، وقلمك ماضٍ في البلاغتين مضاءً لا يُدرك إلا بالإلهام.**

---

(١) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت -٢/ ٥٢٦

(٢) اتعاظ الحنفا: المقريزي ٣/ ٢١٨

(٣) المصدر السابق : ٢١٩

فسبحانَ من أفردك باستكمال المآثر، وجمع لك من المحاسن ما أعجز وصفَه جهدُ الناظم والناثر، وآتاك غاية شرف النفس وكرم الأصل، ومكنك من كل منقبة بإحراز السبق وإدراك الحصل، وأطلعك من أفقِ علاءٍ تكاثرت سعودُه، واستخلصك من منصب سناءٍ سما فأعجز النجم صعوده، وانتخبك من بيت عزٍ غدت دعائمه لذات السمّهرية ، وظلاله صفحات القبض المشرفية، وحشاياه صهوات الجرد الأعوجية... وقد كان أمير المؤمنين حين أبهمت الأمور، ومرجت الصدور، وحارت الألباب، واستشرف للارتياب، يرجو من الله أن يفجَأَه منك بالفرج القريب، ويصمي أعداءه من عزمك بالسهم المصيب، واستجاب الله دعاءه فيك، بما ماثل دعاء جدّه رسول الله ﷺ وضاهى، وحصل في ذلك على معنى قوله تعالى:" قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا" ...[1]، ثم يستمر السجل بهذا النغم، مفوّضاً له كل شيء، وباسطاً يده على مقاليد الخلافة بلا حدٍ من تنصيب وعزل والتصرف بالأموال .

ومما لاشك فيه أن هذا السجل الذي كتبه ابن الخلّال على لسان الخليفة الفائز– الطفل الصغير– يُعد من أهم الوثائق التاريخية في الدولة الفاطمية، ولاسيّما انها شارفت على نهايتها وانقراضها كدولة عظمى" وهو قريب جداً من قصيدة المديح لما يحويه من ألفاظ الإطراء على الرجل وهمته وأخلاقه، ولاشك ان كاتبه الخلال كان يستوحي خاطره وأحاسيسه الخاصة نحو الرجل، الى جانب استشعاره الحاجة الى هذه الشخصية القوية التي تحفظ على البلد كيانه، وتحوطه برعايته ونكبت أعداءه وكل من يتربص به من الخارج او الداخل" [2] ويتضح من خلال السجل عِظم شأن الملك الجديد، وبيان همته وحسبه وكرم أصله، وعدّ فضائلَه حتى أصبح بمجموعها غريبا في زمانه، كما أنه كان فارس السيف والقلم وهو صاحب البلاعتين ...

والمهم في هذا الأمر أنَّ الصالح كان مطلوبا لهذا المنصب ولم يكن طالبا له، مما يجعل جانبه قويا في المنصب الجديد على حين كان الوزراء من قبله يتقاتلون على هذا المنصب.

وبعد هذا الثناء والإطراء وذكر المحاسن والشيم، كتب الخليفة الفائز على طُرّة السجّل تقريرا لما ورد فيه ومنه " لوزيرنا السيد الأجلّ الملك الصالح، من جلالة القدر، وعظم الأمر وفخامة الشأن، وعلو

---

(١) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط١، ١٩٦٨، ٢/ ٢,٩-٢١٤

(٢) الأدب في العصر الفاطمي (الشعر والشعراء): محمد سلام زغلول، ٤,٧

المكان.... والذي تضمنه هذا السجل من تقريضه وأوصافه، فالذي تشتمل عليه ضمائرنا أضعاف أضعافه، وكذلك شرفناه بجميع التدبير والإنالة، والله تعالى يعضد به دولتنا.."[١]

وقد انفردت هذه الوثيقة عن غيرها من الوثائق الفاطمية الصادرة في تولية الوزراء وولاة العهد [٢]، حتى إن الوزير الأفضل بن بدر الجمّالي مع سلطته واستبداده بالأمر في حينه لم يحظ بمثل هذا السجل [٣]، وكان تاريخ هذا السجل في يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة (٥٤٩ هـ)[٤]

وبهذا التفويض بدأ عهدٌ جديد للدولة الفاطمية مع وزيرها وملِكها الجديد، والذي لم يكن جديدا على بقاعها من قبل، وسارت أيامه بخدمة بلده، وتمكن من كلِّ شيء بحكم السجل السابق حتى ان الخليفة لم يعد له ذكر معه " ملك مصر، واستولى على صاحب القصر، ونفق في زمانه النظم والنثر، واسترقّ بإحسانه الحمد والشكر، وقرّب الفضلاء، واتخذهم لنفسه جلساء، ورحل اليه ذوو الرجاء، وأفاض على القاصي والداني بالعطاء " [٥]، ومضى الصالح يبسط الأمن في أيام الفائز حتى وفاته سنة (٥٥٥هـ)، وبقي في وزارته لخلفه العاضد الذي جاء به هو خليفة بعد الفائز وكان صغيرا أيضا، وظل يعمل في بلاده وزيرا وأديبا كبيرا وشاعرا مجيدا، ويقاتل من جهة أخرى العدو الصليبي المرابط على الحدود حتى أخريات أيام حياته .

وطيلة الفترة التي بقي فيها الصالح وزيراً ومدبرا لدولته، شغل نفسه بالقضية الكبرى التي كانت تسيطر على مشاعره، ألا وهي مقاتلة الصليبيين، فكرّس كلّ همّه لهذه القضية حتى أنه كان يتحسر – قبيل موته –على عدم إتمامها، وظل يرسل الحملات الى الشام لجهاد الأعداء، وكان

---

(١) حسن المحاضرة: ٢/٢١٤–٢١٥، ديوان طلائع: ٢٣، اتعاظ الحنفا:٣/٢١٩، وذكر" السيد الأجل ناصر الأمة كاشف الغمة امير الجيوش، سيف الإسلام .."" النجوم الزاهرة:٥/٢٩٨

(٢) ينظر: ديوان طلائع: ٢٢، مجموعة الوثائق الفاطمية: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ٢..٢،١٦٩، الوثيقة رقم ١٦

(٣) ينظر: الأدب في العصر الفاطمي، ٤,٧

(٤) اتعاظ الحنفا:٣/٢١٦، لكن السيوطي لم يحدد التاريخ في حسن المحاضرة .

(٥) خريدة القصر: العماد الأصبهاني،١/١٧٣–١٧٤

شعوره بالوحدة الإسلامية من أقوى الأسباب التي تدفعه لخوض غمار الحرب، فكان آخر الوزراء الفاطميين الذين تصدوا للفرنج [١].

الواقع الاجتماعي:

من المعلوم إن أهم نتاج للإسماعيلية هو قيام الدولة الفاطمية في المغرب ثم في مصر وبلاد الشام، فكان لهذه الدولة الأثر البعيد في التاريخ العربي، ولاسيّما في مصر، فأخذت تخطط لأهم أهدافها وهو القضاء على الخلافة العباسية، وعاشت مصر دورا جديدا في عهدها، غلبت عليه الرفاهية بشكل كبير " اتخذ الفاطميون من القاهرة عاصمة لهم، وأقاموا فيها دولة عظيمة أشبه ما تكون بإمبراطورية ضخمة " [٢]، وأنفق الفاطميون بإسراف على عمران مصر، مستفيدين من خيرات نيلها الزاخر، " فكانت أزهى دولة في مصر بعد عهد الفراعنة" [٣]، وعلى الرغم مما قيل في نسبهم، فإنهم كانوا يعتزون به، كونهم من قريش، فشجعوا القبائل العربية على النزوح الى مصر، بالإضافة إلى القبائل الأخرى الموجودة من عرب القحطانية وجذام وغيرها، معتمدين على ذلك بأسلوب الدعاية الذي مارسوه قبل دخولهم الى مصر والذي كان له أبلغ الأثر في نجاح دولتهم في المغرب ومصر، اذ بذروا في نفوس المصريين معتقدات الفاطميين، الأمر الذي مهّد لجوهر الصقلي فاتح مصر ان يدخل إليها من دون عناء سنة ٣٥٨هـ .

والملاحظ أنهم – الفاطميين– لم يغيروا كثيرا في النظم، وبخاصة في حكمهم الأول، فاسندوا أمور الدولة الى المصريين ومعهم المغاربة الوافدين، ونشروا العدالة في البلاد لأنهم رأوا أن بقاءهم يتطلب الدفاع عن هذه البقعة، فاعتنوا برعاياهم ولم يضيقوا عليهم في عيشهم أو معتقداتهم الدينية.

---

(١) ينظر: شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام: د. محمد علي الهرفي، دار المعالم الثقافية، بيروت، السعودية، ط١، ١٩٧٩، ٢٧٨ الأدب في العصر الفاطمي (الشعر والشعراء):٤١١، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد: د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية مصر ط١، ١٩٩٢، ٢١٦

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط١١، ب.ت، ٤٦٦

(٣) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني: د. مرضيه آباد، طهران، ط٣، ١٣٩١ ش، ٢,١٢م، ٢,٤

كانت مصر قبل الفاطميين تدين – في الأغلب– بالمذاهب السنيّة، ثم أخذ المذهب الشيعي يتغلب على أهلها، فبدأت الاحتفالات بمواليد الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام وأعياد الفطر والأضحى وعيد الغدير الذي كانت له حظوة كبيرة عند الفاطميين، والاحتفاء بالمناسبات المؤلمة كيوم عاشوراء ووفيات الأئمة، وكان موقفهم مع أهل الذمة والكتابيين، موقفا فيه الكثير من التسامح، حتى أنهم أدخلوهم في أكثر أمور الدولة، كالأطباء وأهل الحرف وغيرهم، مما ساعد كثيرا في استقرار البلاد [١]، كما " أجازوا لأهل السنة إظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم، فصارت تعاليم مذاهب الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل تدرس في دولتهم، بل انهم صاروا يراعون مذهب الإمام مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه، أما مذهب الإمام أبي حنيفة فلم يلقَ تأثيرا من الفاطميين لأنه مذهب العباسيين، كما ظهر في هذا العصر بعض علماء مذاهب أهل السنة في مصر، وكانوا يلقون دروسهم على جمهور المستمعين بجامع عمرو بن العاص" [٢].

فوجد الشعب المصري على اختلاف طوائفه، الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية وغير الدينية، ونَعِم هذا الشعب على مدى السنين التي حكم فيها الفاطميون بالأعياد الكثيرة واستمتع بالبذخ والإسراف في تلك الأعياد، باستثناء بعض سنوات المجاعات التي مرت على مصر كغيرها من البلدان، وبالأخص عند انخفاض مياه النيل الذي كان يولد الأزمات الاقتصادية، فضلا عن الأوبئة [٣]، ومن مظاهر الترف في مصر الفاطمية –وهي كثيرة– بناء القصور الفخمة والمناظر الكثيرة في أنحاء البلاد، وكذلك (الركوبات) التي اتسمت بالمبالغة عند خروج الخليفة ومن معه من جيشه ورجاله أمام الشعب المصري في المناسبات، وهو ما يشبه الاستعراض، بالإضافة الى ما ذكرته أغلب المصادر عن كنوز الفاطميين التي تشهد بوضوح على الرفاهية في مصر ولاسيّما في الطبقات العليا [٤]، ومن ذلك بناء القصر الفاطمي على يد جوهر الصقلي سنة ٣٥٩ هـ

---

(١) الأدب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتاب): محمد سلام زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٥٦، تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني: ٢,٨

(٢) تاريخ الدولة الفاطمية: د. محمد جمال الدين سرور، ٨٠ ينظر: الخطط المقريزية: ١/٣٨٣-٣٤.

(٣) ينظر: الخطط المقريزية: ١/٣٥٤

(٤) ينظر: المصدر السابق: ١/٤٦٤-٤٩.

" وقصر الذهب وقصر الشجرة وقصر الحريم وقصر الشوك..." [١]، وعلى الرغم مما تعرضت له الدولة الفاطمية من محاولة محو الأثر، والإبادة لكل مآثرها ومنجزاتها، لكن بقيت الكثير منها شاخصة الى يومنا هذا تدل على وجودها القوي وأثرها الواضح في أغلب الجوانب المهمة كالسياسية والاجتماعية والفكرية والاقتصادية.

الواقع الثقافي:

وكان الجانب الأدبي وبخاصة الشعر من أكثر الجوانب التي أولوها أهمية منذ الأيام الأولى لدخولهم الى مصر، وكان أغلب الخلفاء من الشعراء أو ممن يتذوق الشعر" وقربوا الشعراء، وأغدقوا عليهم، فقد أدركوا ما للشعر من أثر في نشر دعوتهم،، وأنّ له دوراً مهما في تأييدهم، وتوطيد أركان ملكهم، وتأليف القلوب حولهم، وإضفاء العظمة والهيبة على ملكهم " [٢]، واستمرت هذه العناية من لدن الخلفاء والوزراء حتى الأيام الأخيرة من خلافة العاضد آخر خليفة فاطمي، مثل الخليفة المعز لدين الله والآمر وتميم بن المعز، ومن الوزراء الأفضل بن بدر الجمالي وطلائع بن رزيك وأغلب أفراد أسرته، وكثر الشعراء بشكل كبير في أيامهم حتى غدت القاهرة كعبتهم التي يقصدونها من أجل النوال، ساعدهم في ذلك ثراء الدولة الفاطمية، وكرم الخلفاء والوزراء في عطائهم وحسن صنيعهم مع الشعراء، وكذلك إشعالهم لروح المنافسة مع الخلافة العباسية في بغداد، وكانوا يستدرجون الشعراء حتى يستقدمونهم الى القاهرة، وكانت هباتهم أحيانا خارجة عن المتعارف كما فعل المعز لدين الله مع الشاعر ابن هانئ الأندلسي حيث كتب له الإسكندرية بمن فيها، مكافأة له على قصيدته التي منها:[٣]

تقول بنو العبّاس:هل فُتحتْ مِصرُ؟ فقُل لبَني العباسِ قد قُضيَ الأمْرُ

وقد جاوزَ الإسكندريّةَ جوهَرٌ تُطالعُه البُشرَى ويقْدُمُه النَّصْرُ

---

(١) المرأة في مصر في العصر الفاطمي: د. نريمان عبد الكريم أحمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط١، ١٩٩٢،٣٤

(٢) الشعر في بلاط بني رزيك: دراسة فنية: أماني زين كامل الخويسكي، جامعة الإسكندرية، مصر ٢٠٠٩ ، ٢٣

(٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:٤/٣١

وقد عرفنا ان دعوة الفاطميين قامت على أساس ديني، والنسب الشريف، لذلك حاول الشعراء دائما إبراز هذه الظاهرة في أغلب قصائدهم ولاسيّما في غرض المديح، بيد أن أغلب قصائد المديح قد تعرضت الى التلف، وأبيدت، والكثير من هذا الشعر لم ينل حظه من التدوين على يد من جاء بعد الفاطميين " ويخيّل إلينا انّ للأيوبيين ولصلاح الدين خاصة أثرا في هذا الإتلاف والإبادة، ذلك أنه قوّض دولتهم، وحارب كل من دان بعقيدتهم، ونكّل بكل من ناصرهم، أو بقي على الولاء لهم " [١]، وهذا واقع سجله التاريخ، وقريب منه ما ذكره صاحب كنوز الفاطميين " ولسنا نظن إننا في حاجة إلى أن نكرر أنّ ما وقع في عصر صلاح الدين لما بقي في خزانة الكتب الفاطمية كان مقصودا به محاربة المذهب الشيعي قبل كل شيء، ولعل أكثر الكتب التي بيعت أو استولى عليها المقربون الى صلاح الدين وأمكن إنقاذها كانت من المؤلفات العلمية أو الأدبية التي لا تمت الى مذهب الشيعة بأدنى صلة" [٢]،وهناك من يرى أنهم أحرقوا كتبهم حتى دواوين الشعر، خوفا من أن يكون بها مديح للأئمة الفاطميين لأنه كفر بزعمهم [٣].

انّ اهتمام الفاطميين بالعلم والعلماء وإنشاء دور العلم وخزائن الكتب، فاق ماكانت عليه كثير من الدول التي لم تعرف للعلماء قدرهم، وقد زخرت صفحات كتب التاريخ وأسهبت في وصف المكتبات وخزائن الكتب في القاهرة وغيرها من مدن مصر، وأعداد الكتب فيها والتي كانت محطّ أنظار العالم الإسلامي، منها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ وجد ما ينيف على ثلاثين نسخة منه إحداها بخط الخليل، حيث كانت دار الكتب في القاهرة من أعظم دور الكتب في العالم الإسلامي، " ومن عجائبها انه كان فيها ألف ومئتا نسخة من تاريخ الطبري الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب "[٤]، لكنّ معظم هذه الكتب والنفائس الجليلة تلاشت، وضاع أكثر ما أفنى الفاطميون في انجازه ما يزيد على مئتي سنة في مصر، من العطاء في كل المجالات في عصر ازدهرت فيه الفنون والكتابة والطب، وتنفس الشعر الصعداء، وازداد عدد

---

(١) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: د. بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤،١٩٨٦، ٨٧

(٢) كنوز الفاطميين: زكي محمد حسن، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٨١، ٣٤

(٣) ينظر: في أدب مصر الفاطمية: ١٧٣

(٤) خطط المقريزي: ٤,٨/١-٤,٩، وقيل ألفي ألف وستمائة ألف كتاب، اي مليونين وستمائة ألف كتاب، ينظر: مستدركات أعيان الشيعة ٥٦ نقلا عن ابن أبي طي .

الشعراء بشكل مفرط، حتى قيل انه لما مات يعقوب بن كلس في القرن الرابع رثاه مئة شاعر [١]، وما ان جاءت الدولة الأيوبية حتى هبَّت على هذا التاريخ الأدبي الفاطمي، والعلمي وغيره، فصيّرته حطاما إلاّ ما ندر، فباعوا وأحرقوا وصنعوا من تلك الأسفار تلالا .

وكانت أولى الخطوات للقضاء على الإرث الفاطمي، إبطال الأذان بـ"حي على خير العمل" وإنشاء مدرسة لتدريس المذهب الشافعي، وأخرى لتدريس المذهب المالكي، وعزل قضاة الشيعة، وتعيين أهل السنّة وكأنّ الانتصار هو انتصار السنة على الشيعة [٢]، ثم أخذ صلاح الدين يضيق على الخليفة الفاطمي العاضد بعد ان خلع عليه الوزارة بعد أسد الدين شيركوه الذي بقي فيها شهرين ومات، ولم يكن مجيئه الى هذا المنصب سهلا، حتى قيل: انّ نور الدين لم يكن يرغب بتولية صلاح الدين منصب الوزارة " ولما بلغه استيلاء صلاح الدين أقام ثلاثة أيام لا يقدر أحد ان يراه من شدّة ما عظم عليه ذلك وأغضبه "[٣]، وكان معه عين الدولة في جيشه ولم يرضَ بتوليته وقال:" لا أخدم يوسفَ أبداً وخرج من القاهرة بجماعة وصار الى نور الدين " [٤]

فسلب صلاح الدين كل ما عند الخليفة، حتى أنه أخذ منه آخر فرس كان يركبها! [٥]، وكان العاضد يقربه من نفسه – على رأي من ناصر صلاح الدين– ولا يرد له طلبا، ولكنّ صلاح الدين كان متأرجحا بين الولائين: للخليفة الفاطمي الشيعي كوزير له، وكقائدٍ لجيش نور الدين صاحب الشام السنيّ، اذا سلّمنا انه كان يدين بالولاء للخليفة العاضد، لأنه بعد مدة قصيرة خلع العاضد وجعل الخطبة للخليفة العباسي المستضيء بالله وكان العاضد مريضا، فمات غما بعدها بأيام قليلة وقيل انه لما سمع بقطع الخطبة للعباسيين أخذ خاتمه وكان فيه فصٌ مسموم فابتلعه.

---

(١) ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف،٤٦٨

(٢) ينظر: خطط المقريزي: ٣٥٩/١، اتعاظ الحنفا:٣١٧/٣، البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق د. عبد الله التركي، مطبعة هجر، مصر، ط١، ١٩٩٨، ٤٥١/١٦، عيون الروضتين: أبو شامة،٢٩٣/١، تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي: د. أحمد عبد الرزاق أحمد، دار الفكر العربي، مصر، ط١، ١٩٩٩، ٢٠٠

(٣) اتعاظ الحنفا:٣١/٣.

(٤) المصدر السابق، الصفحة نفسها

(٥) ينظر: خطط المقريزي: ٣٥٨/١، اتعاظ الحنفا:٣١٤/٣، دول الإسلام: الذهبي، تح: حسن إسماعيل مروة و محمود الأرناؤوط، دار صادر – بيروت ١٩٩٩، ٧١/٢

وروي أنّ صلاح الدين ندم على ذلك وكان أجله- العاضد- قريباً [١]، ومهما يكن من أمر فقد حقق صلاح الدين حلمه في القضاء على الدولة الفاطمية، تلك الدولة التي خلعت عليه الوزارة كما خلعتها على اسد الدين من قبله بشهرين، واختاره العاضد لهذا المنصب بعده، وقرّبه منه كثيرا، فحاول ان يترك سيرته القديمة لأنه وُضع بمنصب يحتاج معه الى سياسة وتدبير" وأقبل على الجد، وتابَ عن الخمر، وأعرض عن اللهو، وتقرّب الى الخليفة العاضد بما يرضيه فأحبه وأدناه.." [٢]، وذكر ابن شدّاد الذي كان يدافع عنه وألفَ في مآثره كتابا خاصا" وشكر نعمة الله عليه، فتاب عن الخمر وأعرض عن أسباب اللهو وتقمّص بلباس الجدّ والاجتهاد" [٣]، ونرى من يلتمس الأعذار في ذلك لصلاح الدين " ولا نملك النفس عن ذكر حقيقة نراها قد تساعد على أن تظهر الينا صورة ذلك الرجل قريبة من الوضوح، وذلك أنه قد كان في شبابه يسيم سرح اللهو حيث يسيم أمثاله من الفتيان، فانّه تاب عن الخمر وغير ذلك من اللهو وهو في مصر بعد أن حمل عبء الوزارة وصار من رجال الأمر فخلع عنه ما لا يليق به في مكانته الجديدة وهل من الغريب الاّ يكون الشباب معصوما "[٤]، الأغرب هو التماس الأعذار لبعض الشخصيات التاريخية دون بعض والتي جُعلت أصناما تهفو إليها تلك الشخصيات لأسباب طائفية، ولو كان غير صلاح الدين فعل ذلك لما التمست لهم الأعذار!

نعم، العاضد الذي استنجد بنور الدين ورجاله عندما دهمه الخطر الصليبي، فوضع كل إمكانيات مصر بيد نور الدين السنيّ المتربص بدولته ورضي بذلك على ان يعطيها الى الصليبيين، فما كان جزاؤه من صلاح الدين؟

---

(١) نهاية الأرب في فنون الأدب: النويري،٢٢٨/٢٨، ينظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:٣٢/٥. وما بعدها

(٢) اتعاظ الحنفا:٣١/٣.

(٣) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية: ابن شداد، تحقيق، د. جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤، ٨١، ينظر: مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧، ٥٥/١

(٤)صلاح الدين الأيوبي وعصره: محمد فريد ابو حديد، دار الكتب المصرية، مصر، ط١، ١٩٢٧، ٤٨

جزاؤه أن احتجز صلاح الدين أسرته وجعل الرجال في جانب والنساء في جانب آخر، كي لا يتناسلوا[١]، فيكون ذلك أسرع في انقراضهم، وهي سابقة لم يفعلها أحد من قبله، واستولى على كل ممتلكات القصر من" الأموال والذخائر والتحف والمجوهرات والعبيد والخدم والخيل والمتاع وغيره، وكان في القصر من الجواهر النفيسة مالم يكن عند خليفة ولا ملك، مما كان قد جمع في طول السنين" [٢]، وأطلق البيع في ممتلكات القصر، واستمر البيع عشر سنين،" وقمع مواليهم وسائر نسائهم قال: وكانت هذه الفعلة من أشرف أفعاله فلَنِعم ما فعل، فانّ هؤلاء كانوا باطنيين زنادقة دعوا إلى مذهب التناسخ ..." [٣].

وكتب المقرّبون من صلاح الدين شامتين بالفاطميين، الذين دالت دولتهم، ومنهم العماد الأصبهاني:

تُوفي العاضدُ الَّدعيُّ فما ... يفتحُ ذو بدعةٍ بمصر فما
وعصرُ فرعونها انقضى وغَدا ... يوسُفُها في الأَمورِ محتكما
لما غدا مُعلناً شعار بني الـ ... ـعبّاسِ حقّاً والباطل اكتتما
وباتَ داعي التّوحيد منتصراً ... ومِنْ دُعاةِ الإشراكِ مُنتقما
وارتبكَ الجاهلونَ في ظُلَمٍ ... لما أَضاءَتْ منابرُ العُلما
واعتلتِ الدولةُ التي اضطهدتْ ... وانتصرَ الدِّينُ بعد ما اهُتضما
واهتزَّ عِطفُ الإسلامِ من جَذَلٍ ... وافترَّ ثغرُ الإيمان وابتسما
واستبشرتْ أَوجهُ الهُدى فَرَحاً ... فليقرعِ الكفرُ سنَّهُ نَدَما
عادَ حريمُ الأَعداءِ مُنتهكَ الـ ... ـحمى وفيءُ الطُّغاةِ مُقتَسَما
قصورُ أَهلِ القصورِ أَخربها ... عامرُ بيتٍ من الكمالِ سَما[٤]

وهو هنا يرميهم بالكفر والضلال والخروج من الدين والهدى، ويقرُّ بخراب القصور من قبل صلاح الدين وأتباعه، وهؤلاء الأعداء الذين يتباهى الشاعر بانتهاك حريمهم، هم الذين استنجدوا بهم على

---

(١) ينظر: دول الإسلام:الذهبي، ٧٢/٢

(٢) النجوم الزاهرة:٣٢/٥.، ينظر: خطط المقريزي: ٤٩٦/١، اتعاظ الحنفا:٣١٤/٣

(٣) النجوم الزاهرة:٣٢٥/٥

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير، ١٦/ ٤٥١-٤٥٢

الفرنج، فكان أن ارتكب فيهم هذا الفعل، ويقال فيهم هذا القول، ولا ندري أين ذهبت إنسانية صلاح الدين مع الفرنج والصليبيين، ولم تظهر مع أبناء دينه وقومه ؟! [١]

كما أنّ للقاضي الفاضل يدٌ في تأصيل هذه النزعة، فهو لسان صلاح الدين الناطق" والمذلة في شيع الضلال شائعة، وذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء، وسمّوا أعداء الله أصفياء، وتقطعوا أمرهم شيعا، وحقّت عليهم الكلمة تشريدا وقتلا، وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا، وليس السيف عمن سواهم من كفار الفرنج بصائم " [٢]، وقال العماد الكاتب:" وهم الى الآن محصورون محسورون، لم يظهروا، وقد نقص عددهم، وقلص مددهم " [٣].

عندما أحدق الخطر الصليبي بمصر، وبدأت الأوضاع تسوء شيئا فشيئا، مع ضعف الدولة الفاطمية وغياب القائد القوي، وضع العاضد نفسه وخلافته وكل ما يملك بيد نور الدين مع علمه بنوايا الزنكيين والأيوبيين تجاه دولته الشيعية، فآثر أن يولي خصومه البلاد كي يتخلص من الصليب والفرنج، فغلّب الجانب الوطني على العصبية والمذهبية، وهذا الحرص على الدين فاق بشكل كبير حرصه على مذهبه فضرب بذلك أروع الأمثلة للحكام عبر الأجيال، بيدَ انَّ هذا الموقف لم يشفع له من بعد [٤].

والبعض يعدُها سابقة فريدة في تاريخ الدول والحكام " وضع العاضدُ بيده أشرفَ خاتمة لخلافته، وكأني به يردد القول المأثور: خير لك أن تموت واقفا على قدميك من أن تعيش على ركبتيك " [٥].

---

(١) ينظر: مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، ٥٦

(٢) النجوم الزاهرة:٣٢٨/٥، ينظر: عيون الروضتين، ٣١٧/١

(٣) ينظر: عيون الروضتين، ٣١٦/١

(٤) ينظر: مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، ٥٥

(٥) شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية: فهمي توفيق محمد مقبل، ب.ت، ١٤٦

طلائع بن رزّيك: الشاعر- الوزير:

عقيدته:

عرفنا أنّ الدولة الفاطمية تعود بنسبها إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهي تقرّ بانّ الإمامة انتقلت إلى إسماعيل من أبيه الصادق عليه السلام وليس كما تعتقد الشيعة الإمامية انها في ولده موسى الكاظم عليه السلام، وكذلك يعتقد الإسماعيلية بانتقالها من إسماعيل الى ولده محمد كونها نصٌّ في الأولاد وهي مستمرة فيهم، علما ان إسماعيل قد توفي في عهد ابيه الصادق عليه السلام، وهو الذي غسله وكفنه ودفنه وكان يحذر من الفتنة التي تكون من بعده، وفي هذا الموضوع عدّة آراء منها:

١- إنّ الإمام الصادق عليه السلام نصّ على ولده إسماعيل فلما مات في حياته جعلها في ابنه محمد الذي كان مولودا وعمره عشرون سنة.

٢- وقيل: انه لم يكن مولودا، وأخفى أمره الى ان ولد، وأحاطه موسى بن جعفر عليه السلام خوفا عليه من العباسيين

٣- إنّ إسماعيل هو الإمام ولم يمت في حياة أبيه، وإنما اختفى .....[١].

وتوجد روايات تؤكد موت إسماعيل في عهد أبيه الصادق عليه السلام سنة ١٤٥هـ، وان الصادق عليه السلام غسّله وجهزه وكفنه وشيعه في جنازته بلا حذاء، وأمر بالحج عنه بعد وفاته [٢]، ويؤكد ذلك ماورد عن زرارة بن أعين، من أنّ الصادق عليه السلام أتى بجماعة حتى صاروا ثلاثين رجلا فأشهدهم على موت إسماعيل عدّة مرات، وقال اللهم اشهد فانه سيرتاب المبطلون [٣]، وهناك جدل كبير في كتب التاريخ حول أصل الفاطميين، فمن قائلٍ: إن أصلهم من إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام وآخر

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي،١٤١/١٥، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد: ٣١، الإسماعيلية تاريخ وعقائد: إحسان الهي ظهير، ادارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ١٩٨٧، ب.ط ٦١-٦٧، اتعاظ الحنفا: ٣٥/١ وغيرها

(٢) ينظر: مناقب ال ابي طالب: ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٩١، ١/ ٣٢٧

(٣) المصدر السابق: الصفحة نفسها

يعدهم من اليهود وينسب اليهم كل رذيلة [١]، وآخر يعود بهم إلى أول الخليقة وأنهم موجودون مع قدم هذا الوجود وذكر ذلك في كتابهم السرية، وقد ساق مؤلف الكتاب مجموعة من الآراء والمعتقدات هي أقرب الى الأساطير والخرافات [٢]، ومنهم من رد هذه التهم ونسبها الى أصحاب الغلو منهم الذين أساؤوا الى الفاطميين [٣].

أما الشيعة الإمامية، فتعتقد أنّ " الإمامة نصٌّ من الله تعالى على لسان رسوله ﷺ أو لسان الإمام المنصوب بالنص إذا أراد أن ينصَّ على الإمام من بعده، وحكمها في ذلك حكم النبوة بلا فرق، فليس للناس أن يتحكموا فيمن يعينه الله هاديا ومرشدا لعامة البشر" [٤]، وعدد الأئمة عندهم اثنا عشر إماماً أولهم عليٌّ عليه السلام ومن بعده الحسن ثم الحسين ثم علي زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى بن جعفر ثم علي الرضا ثم محمد الجواد ثم علي الهادي ثم الحسن العسكري وآخرهم محمد المهدي المنتظر عليه السلام، فالإسماعيلية تتفق معهم إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ويجعلونها في ولده إسماعيل دون موسى، فوقفوا على السادس (جعفر) فهم الستية،ونقلوها من العدد١٢ الى ٧ وهو إسماعيل فهم السبعية .

وعلى هذا لايصحّ ماقاله الدكتور محمد جمال الدين من انّ الإمام الصادق عليه السلام تخلى عن أبناء الحسن بن علي عليه السلام " واخذ يعمل في الخفاء ليمهد السبيل لأبنائه من بعده للوصول الى الخلافة، وأستطاع جعفر الصادق بحسن سياسته أن يقنع بقايا العلويين من أحفاد الحسن بن علي الذين

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي،١٥/١٤١-١٤٢، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد،٣١، الإسماعيلية تاريخ وعقائد،٦٣، اتعاظ الحنفا:١/٣٥، ٣/ ٣٤٥، النجوم الزاهرة:٥/٣٢٤-٣٢٥، عيون الروضتين في أخبارالدولتين النورية = =والصلاحية: أبو شامة المقدسي، تحقيق: أحمد البيسومي، دار أحياء التراث العربي، دمشق، ط١، ١٩٩١-١/٣١٢-٣١٣، نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، تح: د.نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢..٢٨،٤/٣٨، أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية: علي حسني الخربوطلي،المطبعة الفنية الحديثة، مصر ط١، ١٩٧٢، ١٢

(٢) تاريخ الدعوة الإسماعيلية: مصطفى غالب، دار الاندلس، بيروت، ط٢، ١٩٦٥، ٥٨

(٣) ينظر: في أدب مصر الفاطمية: محمد حسين كامل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط١، ١٩٥،.٣٧

(٤) عقائد الامامية: محمد رضا المظفر، ط٢، ١٨٣،.٦٣

التفوا حوله – بعد أن بدّد العباسيون شملهم – أنه الوارث الحقيقي لعلي وفاطمة" [١]، وواضح أن هذا الكلام ينم عن عدم معرفة بعقيدة الامامية الاثني عشرية، فالإمامة عندهم نصٌّ وأبناء الحسن والحسين يعرفون حقيقة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فكيف يقنع الإمام أهله بشيء هم مقتنعون به ؟!.

أمّا عن طلائع بن رُزّيك فكان شيعيا اماميا ولم يكن اسماعيليا " كان وافر العقل رضي النفس، بصيرا بالتجارب عالما بأيام الناس،بصيرا بالعلوم الأدبية، محببا الى الناس لإظهاره.. الفضل والدين وإنكاره الظلم والفساد إلا أنه كان من غلاة الامامية مخالفا لما عليه مذهب العاضد وأهل دولته" [٢]، وقال ابن تغري بردي " وكان مائلا إلى مذهب الامامية (أعني انه متغاليا في الرفض)"[٣]، وذكر النويري" وكان الصالح شديد التشيع متغاليا في مذهب الامامية" [٤]، وتقلده لهذا المنصب الخطير في الدولة وهو يخالف أغلب توجهاتها، حتى مع الخليفة نفسه، امرٌ مثير يصعب معه ان يبقى بلا حاسد أو واشٍ، لا سيما انه عرف بشجاعته، وامسك بزمام الأمور بما كان يمتلكه من قدرة وخبرة في هذا المجال، وبما أولاه السجل المذكور آنفا.

واستمر الحال مع الفائز الى ان مات في رجب سنة(٥٥٥هـ) وكان عمره عشر سنين[٥]، وبويع بعده العاضد لدين الله بتوجيه من الصالح بن رزيك،" فكانت الخلافة للعاضد اسماً وللصالح رسما

---

(١) تاريخ الدولة الفاطمية: د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، مصر، ط٢، ١٩٩٥، ١٩ وما بعدها

(٢) اتعاظ الحنفا: المقريزي، ٢٤٩/٣

(٣)النجوم الزاهرة:٢٩٨/٥

(٤) نهاية الارب: ٢١٣/٢٨

(٥) في نهاية الأرب " كان عمره إحدى عشرة سنة وستة اشهر وأياما ومدة ولايته ست سنين وخمسة أشهر وسبعة عشر يوما"

٢٨/ ٢١١ ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي،٢,٧/١٥، الخريدة:١٧٣/١، تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، دار العلم

للملايين، بيروت ط٥، ١٩٨٥، ٣١/٣.

"[1]، وتزوج العاضد بابنة الصالح، وقيل انه ارغم على ذلك، وبقيت بعد زوجها الى ان رأت زوال الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ .

وتؤكد اغلب المصادر ان طلائع بقي اماميا في الدولة الفاطمية الإسماعيلية ولم يغير هذا المعتقد حتى اغتياله في سنة ٥٥٦هـ، وكان يدافع عن هذا المعتقد ويناظر ويجادل فيه ويعقد الجلسات مع الفقهاء، وصنّف في ذلك كتابا بعنوان (الاعتماد في الرد على أهل العناد) يقرر فيه قواعد الامامية، ومن ذلك مارواه عمارة اليمني يذكر دعوة الصالح له بالدخول في التشيع وترك مذهب الشافعية، وأرسل إليه بثلاثة أكياس ذهبا ومعها قوله:

قل للفقيه عمارةٍ يا خير من ... أضحى يؤلِّف خطبة وخطابا

اقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى ... قل حطَّة وادخل الينا البابا

تلقَ الأئمة شافعين ولا تجد ... إلا لدينا سنَّة وكتابا

وعليَّ أن يعلو محلك في الورى ... وإذا شفعتَ إليَّ كنت مجابا

فردَّ عليه الفقيه عمارة بأبيات: [2]

حاشاك من هذا الخطاب خطاباً ... يا خير أملاك الزمان نصابا

لكن إذا ما أفسدت علماؤكم ... معمور معتقدي وصار خرابا

ودعوتمو فكري إلى أقوالكم ... من بعد ذاك أطاعكم وأجابا

فاشددْ يديك على صفاء محبتي ... وامنُن علـــــيَّ وسدّ هذا البابا

---

(١) نهاية الارب: ٢١٢/٢٨، قال المقريزي:" واستقر العاضد اسما والصالح معنى" اتعاظ الحنفا: ٢٤٤/٣، الوافي بالوفيات:

صلاح الدين الصفدي، تح:أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى،دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط١،١٦،٢٠٠٠ /٢٨٨

(٢)النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: عمارة اليمني، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنبرغ، مطبعة مرسو، ط١ ١٨٩٧، ٤٥-٤٦، اتعاظ الحنفا:٢٥/٣.

فبقي طلائع ملازماً لصحبته مع عمارة الى وفاته، وظل الشاعران على عقيدتيهما من دون شائبة أو احنةٍ بينهما، وكان عمارة من الأوفياء للصالح في حياته وبعد وفاته، وللدولة الفاطمية بشكل عام مع اختلاف المذهبين بينهم حتى أنه قتل بسبب وفائه لهم ودفاعه عنهم.

وذكر المقريزي:"وكان محافظا على الصلوات فرائضها ونوافلها، شديد المغالاة في التشيع صنّف كتابا أسماه "الاعتماد في الرد على أهل العناد" جمع له الفقهاء وناظرهم عليه وهو يتضمن إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه والكلام على الأحاديث الواردة في ذلك " [١]، وقال عنه الشيخ الأميني: " هو ممن شرّفه المولى سبحانه بالدنيا والدين، وفاز بكلتي الحسنيين الآخرة والأولى، فهو عالمٌ ناسك، وأميرٌ فاتك، وحبرٌ ضليع، وشاعرٌ مبدع، وقبل كل شيء اماميٌّ متفانٍ في الولاء " [٢]، وقال ابن العماد:" وكان في نصر التشيّع كالسكة المحماة، كان يجمع الفقهاء ويناظرهم على الإمامة " [٣]، وذكره الشيخ السماوي في كتاب الطليعة:" وكان مواظبا على العبادة معلوما بالموالاة وطهارة الولادة، وكان جوادا حاتم منه خاتم، وأديبا قصر عن أوصافه العالَم، وكان شاعرا مكثرا حسن الشعر لطيف الانسجام" [٤]، ومنذ أيام شبابه كان حريصا على طلب العلم والتفقه في الدين، والدفاع عن رأيه فيفيض ويشرح وجهة نظره، متفانيا في الدفاع عن عقيدته، واثقا من خلفيته الثقافية الدينية التي تدعمه بالحجج والبراهين [٥].

ثقافته:

انَّ اغلب المصادر التي كتبت عن طلائع، بدأت مع دخوله الى القاهرة بعد مقتل الظافر وتولية الفائز سنة ٥٤٩هـ، وبعضها أشار الى سفره الى النجف الأشرف أيام شبابه ومنها الى مصر بعد رؤية رآها إمامُ مشهدِ الإمام علي عليه السلام ابن معصوم وفيها تزكية لطلائع [٦]، وأشارت بعض المصادر

---

(١)خطط المقريزي: ٢٩٤/٢، الوافي بالوفيات: ٢٨٨/١٦

(٢)شهداء الفضيلة:عبد الحسين الأميني، مؤسسة الوفاء، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ٦٣

(٣) شذرات الذهب: ابن العماد الحنبلي، ٦/ ٢٩٦،

(٤)الطليعة من شعراء الشيعة: محمد السماوي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ٤٤٨/١

(٥) ينظر: مقدمة ديوان طلائع: الاميني، ٦

(٦) ينظر: خطط المقريزي: ٢٩٢/٢

الى تربيته الأولى وانه نشأ في أرمينية، وقد تعهده والده فهذّبه وحبّبَ اليه العلم، فحفظ القران وأتقن علوم الدين واللغة والأدب، وكان شديد الحب للمطالعة التي تسلطت عليه، فأخذ يحرص على إعداد نفسه إعدادا علميا، يسعى لأن يكون ممن يشار إليه بالبنان في المجالس العلمية والأدبية، وأنفق في سبيل ذلك الأموال، حتى أعوزه الحال إليه كثيرا، فحاز من العلوم والآداب ما لم يدانه فيه أحد من الامراء والملوك [١]، وسمع من الشعر فأكثرَ، ثم بعد ذلك بدأت مرحلة مهمة في حياته عند دخوله الى مصر، وبدأ طلائع " يقدّم طروحاته العقائدية المبنية على أساس معالم المدرسة الامامية، وكانت مشاريعه الأدبية مسعى حثيثاً لإثبات معالم هذه المدرسة فقدّم ديوانه الحافل بقصائد الولاء ليترجم صحوة فكرية ملتزمة " [٢].

وقد مرَّ انه بقي في الصعيد قرابة عشرين عاما متنقلا بين ولايات قوص وأسوان والأشمونين ومنية بني خصيب، حتى ضمَّ الصعيد كله تحت يده، ومثّل هذه السنوات كفيلة بان تبرز مواهب الرجل الأدبية والسياسية فيما بعد، وتأكدت فيه حسن سياسته وتدبيره للأمور، وبخاصة ان الصعيد لم يكن شيعيا بشكل كامل، مما يجعل مهمته صعبة ان لم تكن له سياسة خاصة ودربة وثقافة، وقد أشاد به صديقه الشاعر عمارة اليمني " وكان مرتاضا حصيفا قد لقي في ولاياته فقهاء السنّة وسمع كلامهم " [٣] وفي موضع آخر" فكان مرتاضا قد شمّ أطراف المعارف وتميز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم إلاّ خشونة مجردة، وكان شاعرا يحب الأدب وأهله، ويكرم جليسه، ويبسط أنيسه، وكان كرمه أقرب الى الجزيل من الهزيل ..."[٤].

له كتاب "الاعتماد في الرد على أهل العناد"، وقصيدة أسماها " الجوهرية في الرد على القدرية"، الذين يرون ان الإنسان مجبر لامخيّر، ومن قصائده في ذلك [٥]:

يا أمةً سلكتْ ضلالاً بيّناً حتى استوى إقرارُها وجحودُها

ملتم إلى أن المعاصي لم تكن إلا بتقدير الإله وجودُها

---

(١) ينظر:مقدمة ديوان طلائع، ٥-٨، الأدب في العصر الفاطمي(الشعر والشعراء)،٣٩١، أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام: جواد شبّر، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ٣/ ٩٧

(٢)أدب المحنة او شعراء المحسن بن علي: السيد محمد الحلو، قم المقدسة، ايران، ١٤١٨هـ،٩٨

(٣) النكت العصرية:٤٥

(٤) المصدر السابق: ٤٨

(٥)خطط المقريزي: ٢/٢٩٤، ديوان طلائع:٧٢

لو صحَّ ذا كان الإلهُ بزعمكم منع الشريعة أن تقامَ حدودُها

طلائع شاعراً:

بلاط الشاعر طلائع في مصر ومن حوله من الشعراء، وأهل الأدب يُذكِّرُ بالصورة الخالدة في الأدب العربي التي أرسى دعائمها سيف الدولة الحمداني، فخلَّده المتنبي على مر العصور، ذلك البلاط الذي جمع الأفذاذ من الشعراء وأهل النحو واللغة، عادت صورته في القاهرة على يد طلائع بن رُزّيك، الذي كان يدور في حلبته الشعراء من أمثال عمارة اليمني والقاضي الجليس و ابن الصياد و المهذب بن الزبير وشقيقه الرشيد وغيرهم.

حاول الصالح أن يعيد دولة الشعر الى سابق عهدها أيام المعز وتميم بن المعز والأفضل بن بدر الجمالي، وقد نجح في ذلك، نقل صاحب الخريدة كلام القاضي الجليس بحقه يصف أيامه في مصر" فقد نشرت أيامُه مطويَ الهمم، وأنشرتْ رفات الجود والكرم، ونفضت بدولته سوق الآداب، بعدما كسدت، وهبّتْ ريح الفضل بعدما ركدت، إذا لها الملوك بالقيان والمعازف، كان لهوه بالعلوم والمعارف، وان عمروا أوقاتهم بالخمر والقمْرِ، كانت أوقاته معمورة بالنهي والأمر: [1]

مليكٌ، إذَا أَلْهَى الملوكَ عن اللُّهَا خُمَارٌ، وخمرٌ، هاجَر الدَّلَّ والدَّنّا

ولم تُنْسه الأوتادَ أَوتارُ قينةٍ إذا ما دعاه السيفُ لم يَثْنِهِ المَثْنَى

ولو جادَ بالدنيا وعادَ بضعفها لظنَّ من استصغاره أَنه ضَنَّا

وبحق كان الصالح أعظم وزراء الدولة الفاطمية نصيبا من الشعر، وأغلب المصادر تؤكد على وجود ديوان كبير له، لكن لم يبقَ منه إلا القليل وقد تفرق في طيّات الكتب، قام بجمعه وتحقيقه الاستاذ محمد هادي الأميني ونشره سنة١٩٦٤ بالنجف الأشرف، كما توجد نسخة أخرى من الديوان بتحقيق الدكتور أحمد بدوي نشرت سنة ١٩٥٨ بالقاهرة، لكن معظم شعر طلائع لم يورده بدوي في ديوانه المذكور!!

ذكر ابن خلكان "وكان فاضلا سمحا في العطاء سهلا في اللقاء محبا لأهل الفضائل جيد الشعر، وقفت على ديوان شعره وهو في جزأين "[2]، وقال جمال الدين الأتابكي في النجوم الزاهرة" وجعل له مجلساً في أكثر الليلي يحضره أهل الأدب، ونظم هو شعرا ودوّنه، وصار الناس يهرعون الى

---

(١)خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر)١٩٣/١-١٩٤

(٢) وفيات الأعيان: ٥٢٦/٢

نقل شعره " [١]،وفي نهاية الأرب " وكان الصالح مع ذلك حازما ضابطا لأمور دولته، شاعرا أديبا" [٢]، وقال عنه ابو الفداء بن كثير وهو يتحدث عن ولده العادل رُزيك "وقد كان أبوه الصالح كريما أديبا، يحب أهل العلم ويحسن اليهم، كان من خيار الملوك والوزراء، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء " [٣]، وقال عمر فرّوخ:" وطلائع شاعر مكثرٌ ولكنَّ معظم شعره قد ضاع، وشعره الباقي متوسط الجودة، يميل أحيانا إلى الضعف، هذا مع التكلف في تطلب وجوه البلاغة " [٤]، وللمقريزي في الاتعاظ " وكان وافر العقل رضيّ النفس، بصيرا بالتجارب، عالما بأيام الناس، بصيرا بالعلوم الأدبية، محببا إلى الناس لإظهاره الفضل والدين وإنكاره الظلم والفساد" [٥].

أما محمد زغلول فيقول وهو يتحدث عن معظم شعره في عقيدته الشيعية:" ولم يورد أحدٌ ممن ترجم لطلائع شيئا من هذا الشعر، لأنه يخالف عقيدة معظمهم، فقد ضربوا عنه صفحا، فيما عدا من تشيّع منهم فلم يختر صاحب معجم الأدباء، ولا ابن خلكان، والعماد، وابن سعيد، والصفدي سوى الأشعار التي تخلو من الإشارات الشيعية، مع أنهم اعترفوا بأنه شيعيٌّ متحمّس، واكتفوا بما جاء في شعره من غزل أو وصف للمعارك.... ومثل هذا التجنب لجانب كبير من شعر الشاعر ضربٌ من الرقابة يفرضه العلماء على الشعراء، وحجب لجانب من المعرفة عن القرّاء، وهو تقصير لاشكّ، بل لعلي أقول انه مجانبة للأمانة العلمية، وتعمية وإخفاء للحقائق، مما يخفى معها ملامح الصورة، بل ويضلل الباحث لأنه لا يملك ما يستطيع به قولة الحق " [٦].

وذكر الزركلي" طلائع بن رزيك الملقب بالملك الصالح، أبي الغارات وزير عصامي، يعد من الملوك، أصله من الشيعة الامامية في العراق ... وكان شجاعا حازما مدبرا، جوادا، صادق العزيمة، عارفا بالأدب، شاعرا، له ديوان شعر" [٧]، وهذا العماد الاصبهاني وهو يمثل الجانب

---

(١)النجوم الزاهرة: ٣/٥..

(٢) نهاية الأرب: النويري:٢١٤/٢٨

(٣)البداية والنهاية: ٣٩٩/١٦

(٤)تاريخ الأدب العربي: ٣١/٣.

(٥)اتعاظ الحنفا:٢٤٩/٣

(٦)الأدب في العصر الفاطمي(الشعر والشعراء)،٤١٦

(٧)الأعلام: الزركلي، ٣٢٩/٣-٣٣.

الإعلامي للدولة الأيوبية المخالفة لتوجهات طلائع،والتي سعت في القضاء عليها ومحو آثارها، لكنه قرضه بما يستحق " سلطان مصر في زمان الفائز وأول زمان العاضد. ملك مصر، واستولى على صاحب القصر، ونفقَ في زمانه النظم والنثر، واسترقَّ بإحسانه الحمدَ والشكرَ وقرب الفضلاء، واتخذهم لنفسه جلساء،ورحل إليه ذوو الرجاء، وأفاض على الداني والقاصي بالعطاء. وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام... وفُتكَ به في دهليز القصر في سنة ست وخمسين وخمسمائة بالقاهرة؛ وانكسفتْ شمسُ الفضائل الزاهرة، ورخص سعرُ الشعر، وانخفضَ عَلَمُ العِلم، وضاق فضاء الفَضل، واتسع جاهُ الجَهل، وانحلَّ نظامُ أهل النظم، وانتثرَ عِقدُ ذوي النثر،واستشعرَ الفاقةَ الشعراء، وعَدمَ البُلغةَ البلغاءُ، وعُدَّ الفضلُ فُضولا، والعقل عَقولا..." [١]، وقد اتُهِمَ طلائع في شاعريته، فقيل إنّ معظم شعره من نظم المهذب بن الزبير، أو انه كان يعينه عليه مع القاضي الجليس، وقد ذكر ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء" وقيل ان أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو من عمل ابن الزبير، وحصل له من الصالح مالٌ جمٌّ، ولم ينفق عنده احدٌ مثله " [٢]، وهي جناية على الشاعرين من قبل ياقوت، فهو لم يسند مانقله الى أحد واكتفى بـ "قيل"، ولم يوافقه أحد ممن كتب عن طلائع في قوله هذا، حتى ابن خلكان والعماد الاصبهاني، ولاشكّ أن ذلك " غلوٌّ وإغراق، فمن زعم ذلك يستكثر على الصالح ان ينتج مثل ذلك الشعر لجودته وإحكام معاني حكمته وأقسام معاني بلاغته ولم يورد دليلا قاطعا إنما هو الظن بل الجهل بعينه" [٣]، وقد فنّد هذه التهمة الكثير من الأدباء [٤].

فرقٌ بين ان يعرضَ الشاعر شعره على الآخرين، حرصاً منه على قدره،لأنه يعرف قيمة الشعر، وبين أن يكتب له الآخرون، ومن ينظر في ديوان عمارة اليمني والمهذّب ابن الزبير والجليس بن الحباب ومن عاصروا الصالح، لايجد ما يؤيد قول ياقوت، بل على العكس من ذلك، فانّ أشعارهم تطفح بالولاء والمدح والإشادة بشعره، وبقي ذلك حتى بعد مقتله، فكان رثاؤهم تعبيراً صادقاً عن حبِّهم وعلاقتهم بالشاعر، فلو كان منتحَلا لبرز ذلك في قصائدهم.

---

(١) خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر):١/١٧٣-١٧٤

(٢) معجم الأدباء ياقوت الحموي، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب، بيروت، لبنان، ط١/١٩٩٣، ٢/٩٤٢

(٣) مقدمة ديوان طلائع:الاميني، ٤٤

(٤) في أدب مصر الفاطمية:٢٣٨، عصر الدول والإمارات (مصر): شوقي ضيف،٣١٣، الأدب في العصر الفاطمي(الشعر والشعراء)، ٤١.

قال المهذب في رثاء الصالح: [1]

هو الدهرُ فانظرْ أىَّ قِرنٍ تُحارِبُه وقد دَهَمَتنَا دُهمُهُ وأشاهِبُه

ليالٍ وأيّامٌ يُغَرُّ بها الورَى وما هِيَ إلاّ جُندُهُ وكتائِبُه

وما سُمُّهُ غَيرُ الكرامِ كأنَّما مناقِبُهم عند الفَخارِ مثالِبُه

وقال عمارة اليمني:" ودخلت عليه ليلة السادس عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وخمس مائة قبل أن يموت بثلاث ليال بعد قيامه من السماط ولم أكن رأيته من أول الشهر بليل فأمر لي بذهب وقال لا تبرح ودخل ثم خرج إليَّ وفى يده قرطاس قد كتب فيه بيتين من شعره عملهما فيتلك الساعة وهما:

نحن في غفلةٍ ونوم وللمو ت عيونٌ يقظانةٌ لا تنامُ

قد رحلنا إلى الحِمام سنيناً ليت شعري متى يكون الحِمامُ؟

ثم قال لي تأملهما وأصلحهما إن كان فيهما شيء قلت هما صالحان وكان آخر عهدي به لأنه ماتبعد هذا بثلاثة أيام "[2].

وكان يرتجل الشعر، ويتذوقه ويثيب عليه أهله كثيرا، وينفق في ذلك الأموال والذهب، ويرعى الشعراء ويتفقدهم، فاختصّ أكثرهم به وبآل بيته [3]، حتى كثر في بلاطه انعقاد مجلسه الأدبي الذي كانت تجري فيه المناقشات اللغوية والمناظرات الشعرية والمساجلات بين الشعراء، وكان الصالح أحدهم، وهناك روايات تؤكد ذكر بعض الأوزان التي يسميها المصريون (الزكالش) ويسميها العراقيون الـ (كان وكان)، فكان البيت يذكر وينظم الحاضرون على نهجه، من ذلك ما ذكر بحضرة الصالح:[4]

النارُ بين ضلوعى ونا غريق في دموعي

كأني فتيلة قنديل أموت غريق وحريق

---

(1) شعر المهذب بن الزبير:جمع وتحقيق ودراسة: محمد عبد الحميد سالم،هجر، مصر، ط١، ١٩٨٨، ١٧٧

(٢) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: ٤٨-٤٩

(٣) ينظر: الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي: محمود مصطفى، دار الكتاب العربي،القاهرة، ط١، ١٩٦٧

(٤) بدائع البدائه: جمال الدين علي بن ظافر(٦١٣هـ) تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٧

فصنع القاضي الجليس أربعة أبيات، والمهذب بن الزبير بيتين، والصالح بيتين هما:

وإذا تشبّ النار بين أضالعي قابلتها من عبرتي بسيول

فأنا الحريق بل الغريق أموت في هذا وذا كذبالةِ القنديل

وفي كتاب عمارة اليمني(النكت العصرية) الكثير من الأمثلة على رعاية الصالح للشعر والشعراء، فكانوا يذكرون له هذا الفضل والسابقة، ومن ذلك قول عمارة: [١]

لقد غمرتني من نداه مواهبٌ أضافتْ إلى عزّ الغنى شرفَ القدرِ

قصدتُ الجنابَ الصالحيَّ تفاؤلاً وقد فسدتْ حالي فأصلحني دهري

وللمهذّب ابن الزبير أبيات كثيرة في هذا الباب،منها يمدحه ويشيد بأشعاره:[٢]

وَلَنَارُ فظنته تُرِيكَ لشعره عذباً يُرَوِّي غُلَّةَ الظمآن

وعقودَ دُرٍّ لو تجسَّمَ لفظها ما رُصِّعَتْ إلا على التيجان

وتنزّهتْ عن أن تُرَى أَفْرَادُهَا لمواضعِ الأَقراط والآذان

يا مُنْعِماً ما للثناء ولو غلا يوماً بما تُولي يداهُ يَدَان

قَلَّدْتَ أَعناقَ البرية كلَّهَا مِنَناً تحمَّلَ ثِقْلَهَا الثَّقَلاَن

ولأبن الصيّاد أيضا قصائدٌ، منها: [٣]

كأنَّ اختطافَ الهامِ عندكَ بِالظبا ابتهاجاً به يومَ الوغى ثَمَرٌ يُجْنَى

غداةَ جعلتَ البيضَ أَغمادها الطُّلاَ وخَيْلَ العِدَا تُقْنَى وسُمْرَ القَنَا تَقْنَا

وللقاضي الجليس أبيات كثيرة في الصالح كغيره من المقربين، منها: [٤]

وقمتَ بحقِّ الطالبيِّينَ طالباً وغيرُكَ يُغْضِي دونه ويُسالِمُ

أَعدت إليهمْ مُلْكَهُم بعد ما لوى به غاصبٌ حقَّ الأمانةِ ظالِمُ

فما غالبٌ إلا بنصرك غالبٌ وما هاشمٌ إلا بسيفك هاشم

---

(١) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: ٤.

(٢) خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر):٢١٢/١

(٣)المصدر نفسه: ٢٤٣، تقنى: من الاقتناء، تقنا: مخففة من تقنأ يصبح لونها قانئا.

(٤)خريدة القصر:١٩.

طلائع وزيراً:

ما إن وصل طلائع إلى مصر قادما من النجف الأشرف، حتى بدأ دوره السياسي، فأخذ يترقّى في المراتب إلى أن ملك الصعيد كلّه، ومكث هناك قرابة عشرين عاما وهي مدة طويلة كفلت له صقل مواهبه السياسية،ومن ثمّ دخل القاهرة بعد مقتل الظافر على يد نصر بن عباس الصنهاجي، وفرارهما الى الشام، فشقّ القاهرة بعساكره، مرتدياً الثياب السود وكانت أعلامه سوداء، عليها شعور نساء القصر، وأخرج جسد الظافر ومشى خلفه حافيا كاشفا عن رأسه.

فأصبح الحاكم الفعلي والمتولي لكل الأمور بحسب السجل الصادر في ذلك وقد مرّ ذكره، وعلى الرغم من قصر مدّته(٥٤٩هـ-٥٥٦هـ)، إلاّ انه قام بأعمال كبيرة مكّنت الدولة من الوقوف من جديد بعدما كادت أن تتلاشى وتذهب ريحها، فاهتم بالعلم والعلماء والأدباء، وجعل له مجلسا أدبيا يحضره أهل الأدب، فكان الناس يهرعون إليه ويدونون ما ينظمه من الشعر، وقام ببناء الجامع المعروف باسمه على باب زويلة بالقاهرة وآخر بالقرافة، وبنى حصنا من لَبن على بلبيس.

كما انه اظهر مذهب الامامية، وباع الولايات للولاة بأسعار محددة لمدة ستة أشهر، مما تضرّر منه الناس لكثرة تردد الولاة عليهم، وضيّق على الأمراء والأعيان وقتل بعضهم وشرّد البعض الآخر، واحتكر الغلات، وضيّق على القصر وأهله لصغر الخليفة الفائز ومن بعده العاضد، لكنه في كل ذلك ساس الأمور، وقضى على المؤامرات الداخلية وتوجه الى محاربة الصليبيين في الخارج [١]، فمن هذه المؤامرات التي كانت من المناوئين والأمراء الذين حسدوه على هذه المنزلة، من أمثال الأوحد بن تميم الذي كان واليا على دمياط وتنيس عندما قتل الظافر، وكان يتطلع الى طلب دم الظافر، لكن طلائع سبقه الى ذلك، وقد خرج على الصالح في سنة (٥٥٠هـ) فسيّر اليه الصالح عدّة عساكر جرت بينهم معارك قتل فيها الأوحد، وفي سنة (٥٥٤هـ) خرج عليه طرخان بن سليط والي الإسكندرية من قبله، فقتل مع جماعة [٢].

أمّا عن دوره في الخارج فتمثل بهدفه الأكبر وهو قتال الفرنج، فكان يرسل الحملات براً وبحرا، وقد ذكر المقريزي وغيره تفصيلات تلك الحملات في اتعاظ الحنفا، ومنها:

في سنة(٥٥٠هـ) سيّر أسطولاً بحرياً إلى ميناء صور فملكها وأخربها وأحرقها وعاد بعدة مراكب فيها حجّاج من النصارى وعدة من الأسرى وغنائم كثيرة، وفي سنة(٥٥٢هـ) تمكنت جيوشه من

---

(١) ينظر: اتعاظ الحنفا:٢٢٢/٣، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة:٣/٥..

(٢) ينظر: اتعاظ الحنفا:٢٣٦/٣-٢٣٨

الوصول الى غزة ونهبت أطرافها، ثم وصلت الى عسقلان فأسرت وغنمت وعادت مظفرة، كما سيّر المراكب الحربية فوصلت الى بيروت، فأوقعت بمراكب الفرنج وأسرت منهم وغنمت، وكذلك فعل في سنة (٥٥٣هـ) فعل بقيادة ضرغام، كما سيّر الأسطول إلى عكا فاسروا نحوا من سبعمئةٍ من الرجال بعد حروب كثيرة، فاستحق بذلك أن يكنى بـ(أبي الغارات).[١]

ووصلت قواته إلى بيت المقدس، فحاول أن يعضّد قوته بقوة أخرى تقاتل في الجانب الآخر، كيما يتمَ القضاء على العدو، وهي قوة نور الدين زنكي في دمشق، فكان يرسل اليه الهدايا والأموال معبرا عن حسن النوايا والصدق في قتال الأعداء، ويستحثه على المشاركة، وكان السفير في ذلك الشاعر والفارس أسامة بن منقذ، بيدَ أنه من المؤسف ألاّ تثمرَ هذه السفارة ولا تلك القصائد الخالدة في تاريخ الحروب الصليبية،فلم يستجب نور الدين لنداء طلائع،فبقي الصالح يقاتل وحده حتى أخريات أيامه.

ويبدو أنّ نور الدين كان متخوفا من الانتصار إذا ما اتحدا، فتقوى به شوكة طلائع الذي يملك مصر بكل خيراتها،" ولاشكّ انّ نور الدين تخّوف من قدرة ابن رزّيك، وحماسهِ لحرب الصليبيين، وربما أشار عليه ناصحوه وأعوانه بالتريث وعدم الاستجابة لمطالبه في العون على حرب الصليبيين إلاّ بقدر محدود" [٢]، فترى أنّ الذي حال دون الهدف المشترك هو العصبية المذهبية التي لم تنظر إلى المصلحة الكبرى وهي مصلحة الإسلام.

وربّما كان هذا هو سبب اعتزال أسامة بن منقذ الحياة السياسية ومغادرته دمشق الى حصن كيفا، كون سفارته لم تفلح مع نور الدين، وليس بسبب تفرغه للكتابة .[٣]

تعرض الصالح الى محاولات اغتيال، منها على يد عمّة الفائز الكبرى، بسبب تسلطه على القصر، فعلم بها وقتلها، ونقل كفالة الفائز إلى أختها الصغرى (ست القصور)، فبقيت تدبر المؤامرات الى ان تمكنت من الاتفاق مع أصحاب أختها المقتولة، فرتبت قوما من السودان الأقوياء في باب السرداب في الدهليز المظلم الذي يدخل منه الى القاعة، فضرب ابنه رزيك على عضده، وجرح هو

---

(١) ينظر: اتعاظ الحنفا:٣/٢٢٤، ٣٣٠،٣٣٣، البداية والنهاية: ١٦،٣٨٥

(٢) الأدب في العصر الفاطمي (الشعر والشعراء):٤٢٢

(٣) الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك: عمر موسى باشا، المكتبة العباسية، دمشق، ط٢، ١٩٧٢،٢٤٧

في رقبته فقطع أحد عمودي الرقبة وشلّت سلسلة ظهره، وبقي يوما ومات فجر التاسع عشر من رمضان سنة (٥٥٦هـ)[١]، وقيل انه لما حُمل وضع يده على جرحه وأنشد:

إن كان عندك يازمانُ بقيةٌ مما تهينُ به الكرام فهاتها

وقد ذكر المقريزي في خططه:" ولما كان في الليلة التي قُتِلَ صبيحتها، قال: في هذه الليلة ضُرب في مثلها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأمر بقربة ممتلئة فاغتسل وصلى على رأي الامامية مائة وعشرين ركعة أحيى بها ليله وخرج ليركبَ، فعثر وسقطت عمامته عن رأسه وتشوّشت فقعد في دهليز دار الوزارة وأمر بإحضار ابن الضيف وكان يتعمم للخلفاء والوزراء وله على ذلك الجاري الثقيل،فلما أخذ في إصلاح العمامة قال رجل للصالح: نعيذ بالله مولانا ويكفيه هذا الذي جرى أمراً يتطير منه فان رأى مولانا أن يؤخر الركوب، فعل فقال: الطيرة من الشيطان ليس الى تأخير الركوب من سبيل وركب فكان من ضربه ما كان وعاد محمولا" [٢] ونسب بعض المؤرخين أمر قتله الى الخليفة العاضد وتدبيره مع الأمراء، لكن ماورد أقرب الى الواقع، لأن العاضد كان صغيراً وقتها، وهو زوج ابنته، وقد أثبتَ من بعده ولدَه رزيك مكانه وان كان رضاه بما جرى ليسا بعيدا، فقد ضيّق عليه الصالح كثيرا .[٣]

---

(١) ينظر: اتعاظ الحنفا:٢٤٧/٣، النجوم الزاهرة:٥/ ٣٠١

(٢) خطط المقريزي:٢٩٤/٢

(٣) ينظر: وفيات الأعيان:٥٢٨/٢، الوافي بالوفيات: ٢٨٨/١٦، شذرات الذهب:٢٩٦/٦

الفصل الأول:

الدراسة الموضوعية

المبحث الأول: المديح

اعتاد أغلب الشعراء في قصائد المديح، على أن يكون شخصا واحد أو أكثر هو الذي يثير فيهم عوامل رسم الصورة للممدوح،وحتى الذين أوقفوا مدحهم على شخص واحد، فقد قرنوا معه شخصا أو أشخاصا ربما أقل منزلة منه، وقد تكون المناسبات الإخوانية أو الضغوط السياسية وغيرها هي التي دعتهم الى ذلك، كما هو الحال مع الفرزدق ودعبل ومهيار والكميت وغيرهم.

والمدح "هو فنّ الثناء والإكبار والاحترام قام بين فنون الأدب العربي مقام السجل الشعري لجوانب من حياتنا التاريخية، إذ رسم نواحي عديدة من أعمال الملوك، وسياسة الوزراء وشجاعة القواد، وثقافة العلماء، فأوضح بذلك بعض الخفايا وكشف عن بعض الزوايا" (١)

فأصبح "المديح تعداداً لجميل المزايا ووصف الشمائل الكريمة، وإظهارَ التقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توافرت فيهم هذه المزايا وعُرفوا بمثل هاتيك الشمائل"(٢)، بيدَ أنّ الصالح طلائع كرّس جلّ مدحه في أهل البيت عليهم السلام ولم يخلط معه الاّ النزر اليسير في قصائده المتبادلة مع الشاعر أسامة بن منقذ، يوضح فيه مكانته القريبة من نفسه وتحسره على فراقه، ويثني عليه شاعراً بارعاً وفارساً شجاعاً.

وهو في مدحه أهلَ البيت عليهم السلام يظهر حبه الشديد، وتعلقه بحبلهم، والخضوع لهم،إذ أشرب حبهم، وباع كل شيء واشتراهم عليهم السلام، هم ثمرة تجارته، والجاهل الحق من ينصحه بترك الولاء لهم (٣) :

من الأحباب قرّبني ولائي ... ومن أعدايَ برأني برائي

ألا إني تَجرتُ فكان بيعي ... لغير أئمتي ولهم شرائي

جريتُ إليهم طلقاً عناني ... وخلّفتُ السوابق من ورائي

ولما صحَّ لي بهم اعتقادي ... بنور هداهمُ استوفقت رائي

وهو يرى نفسه عبدا مطيعا لهم، يرتوي من معينهم بشوق وشغف، فهم كالنجوم التي يهتدي بها الساري صباحا ومساءً، وهم خير زاد له في السفر وخير شفاء له في مرضه :

ألا إني لأهلِ البيتِ عبدٌ ... مطيعٌ ليس يجنحُ للإباء

بهم نلتُ السعادةَ يا شقيٌّ ... وكم بين السعادةِ والشقاء

ففي آل النبي نظَمْتُ مدحي ... وشنَّفت المسامعَ من ثنائي

---

(١) المديح : سامي الدهان، دار المعارف– مصر، ط٥، ١٩٩٢، ٥

(٢) فن المديح وتطوره، احمد أبو حاقه، دار الشروق – بيروت، ط١٩٦٢،١م، ١٤.

(٣) الديوان: ٥١

شربتُ ودادَهم نهْلاً وعلّا وها أنا واردٌ وردَ الظِّماء

نجومٌ يهتدي السَّاري إليها بها عند الصباح وفي المساء

فأهلُ البيتِ في الدارين ذخري وأهلُ البيتِ كنزي في الرخاء

وهم لي حين أظعنُ خيرُ زادٍ وإن أمرض فذكرهم شفائي[١]

ويكرر هذا المعنى في مكان آخر: [٢]

وإذا اعتصمتُ بهم نجوتُ من الرَّدى وإذا انتصرتُ بهم وجدتهم معي

همُ نيِّراتُ الدِّين كلٌ منهم شمسٌ بدَت للناظرين بمطلعِ

وهؤلاء الآل عليهم السلام أحب إليه من بصره وسمعه، ومن ماله ومن حياته كلّها، كما إنهم السبب الحقيقي في انتصاراته على أعدائه : [٣]

أحَبُّ إليَّ من بصري وسمعي ومالي والمسرة في بقائي

جفوت لو إنني قد ملتُ عنهم وليس يميل طبعي للجفاء

فيا شَرَفي بأن قد صرتُ منهم على قربٍ وإنّ سواي نائي

ولهذا الشاعر نسبٌ يمنعه من أن يبيع يقينه بهم أو يعدل به شيئا، الأول إلى رزّيك والثاني بالولاء لهم، لأنه صار لسان حالهم بالولاء لهم في عصره: [٤]

فلي نَسبانِ من رُزَّيْك بدءٌ وثانٍ بانتسابي للولاءِ

وهو منذ البيت الأول في القصيدة يقرر منهجه،ويفصح عن مكنونات القصيدة، ولم يلجأ إلى الغزل والطلل ليتوسل إلى غرضه٠

إنّ الصالح طلائعا في أغلب قصائد المدح التي خصّصها بأهل البيت عليهم السلام وأكثرها في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يؤكد على حقائق ويكررها في أكثر من موقع، وهي تتلخص في ولائه لهم والذَّب عنهم بلسانه وسيفه ورمحه، وعدم المهادنة مع أعدائهم أبداً، وأنهم السبب الحقيقي وراء تفوقه في الحروب، ويأمل بذلك ان ينالَ من أعدائهم، ليكون معهم في جنان الخلد يوم الورود، ويُسقى من

---

(١)الديوان: ٥٢

(٢)الديوان: ٨٨

(٣) الديوان: ٥٢

(٤) الديوان: ٥٢

كأس الكوثر بيدِ عليّ عليه السلام،إلاّ انّ ديوانه زاخرٌ بمديحه لأمير المؤمنين عليه السلام أكثر من بقيةِ أهل البيت عليهم السلام منطلقا من ذلك إلى مدح النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ٠

فأهلُ البيت عليهم السلام عنده هم الدوحةُ التي يتمسّكُ بأغصانها، وهي التي آتت كلَّ الثمارِ الأطايبِ، وبهم يصل المؤملُ الى مايريد، وبهم تُقبل التوبات من التائبين :[1]

ألا إنني أمسكتُ أغصانَ دوحةٍ ... أتَتْ بأفانين الثمار الأطايب

وَبَوّأني منه أماناً موسَّعاً ... وقد كنتُ أخشى أن تُسَدَّ مذاهبي

قصدتُ بهم بين المسالكِ مطلباً ... فما خِبْتُ لكني بلغتُ مطالبي

بهم تبلغ الآمال من كل آمل ... بهم تقبل التوبات من كل تائب

فضائلهم لاتحصى عددا ومن أراد أن يفعل ذلك لاحتاجَ الى كل حاسب معه، ومن ذلك فانّ لسانه رطبٌ بذكرهم، وبمدحهم فانه يطير فوق الكواكب رفعة وعلواً، إنهم يستحقون ذلك كونهم مبرؤون من المعايب والكذب، ويؤكد تمسكه بهم ورغبته، وأما غيرهم فلا رغبة له فيهم: [2]

إذا رمتُ أحصي فضلَ آلِ محمد ... أردتُ معي في حصرها كلَّ حاسب

فما كتبتْ بل ليس تكتبُ في الورى ... بأحسنَ من أوصافهم يدُ كاتب

لساني رطبٌ بالثناء عليهم ... وفي ظالميهم فهو عَضْبُ المضارب

يخيِّل لي لما امتدحتهم علا ... بأني بهم أختالُ فوقَ الكواكب

وحُبّي لهم آل العباء لأنهم ... بريئون من كلِّ الخنا والمعايب

رغبتُ إلى آل الرسول وإنني ... إلى غيرهم فليعلموا غيرُ راغب

ويكرر هذا المعنى مرة أخرى: [3]

أئمةُ حقٍ لا أزالُ بذكرهم ... مواصلَ ذكر اللّه في صلواتي

تجليتُ بين العالمين بحبهم ... وناجيتهم بالود في خلواتي

وأيضا يتجلى هذا المعنى مرة أخرى في قوله: [1]

---

(١) الديوان: ٥٤

(٢) الديوان: الصفحة نفسها

(٣) الديوان: ٦٧

قومٌ لجدِّهم امتداحي وبنور زندهم اقتداحي
وبحبهم أسمو إلى الـ علياء موفورَ الجناح
وأنال آمالي البعيدة في الغدَّو وفي الرواح
وبذكرهم جهراً أصولُ على العدى يوم الكفاح

وكثيراً مايؤكد هذا المعنى رغبة منه في نيل الثواب يوم الورود عليهم، وقبل ذاك في القبر، وهم سبب تفوقه، وكلما انتصر بهم وجدهم عند حسن ظنه بهم : [٢]

ولقد حللتُ بحبِّ آل محمد وولايَ فيهم بالمحل الأرفعِ
ولو أنني عُرِضتْ عليَّ مسالك الدنيا لأربعَ عنهم لم أرجعِ
فهم عتادي في الوغى وذخيرتي يوم المعادِ وعُدَّتي في مضجعي
واليهم في كل خطبٍ موئلي واليهم في كلِّ صَعْبٍ مرجعي
وإذا اعتصمتُ بهم نجوت من الردى وإذا انتصرتُ بهم وجدتهم معي

أو أنه يأمل بمدحه لهم أن ينال الحورَ العين: [٣]

آمل أني بامتداحي لكم أُمنَحُ حوراً في الجنان عِينا

والشاعر يعجب لمن ينكر فضائلهم، كأنه لم يسمع ولم يرَ، فهم ضياء الهدى الذي به ينقشع الضلال، ومعدن العلم الذي يتفجّر انهاراً: [٤]

همُ ضياءُ الهدى، فعلمهم به ظلُ الضَّلال ينقشعُ
غيوث علم إذا هي آنبجستْ فهي مدود البحار تندفعُ
عجبتُ من منكري فضائلهم كأنهم ما رأوا وما سمعوا

---

(١) الديوان: ٧٠

(٢) الديوان: ٨٨

(٣) الديوان: ١٥٥

(٤) الديوان:٩١

لم يعدم فضيلة فيهم فكيف يعدل عنهم الى من يدّعي الفضل ؟، فبهم عرف مشكل القران والحلال والحرام، فهم أهل الكساء الذين تشرف جبرئيل أن يكون معهم، ومهما يكن المدح فيهم فهو قليل، لكنّ مدح الباري لهم غير قليل:

وهمُ الأئمة ما عدمت فضيلة ... فيهم فما ميلي إلى المفضول؟
فأنا إذا مثلتُ غيرهم بهم ... في فضلهم أخطأتُ في تمثيلي
آل النبي بهم عرفنا مشكلَ ... القرآن والتوراة والإنجيل
هم أوضحوا الآياتِ حتى بيَّنوا ... الغاياتِ في التحريم والتحليل
عند التباهل ما علمنا سادساً ... تحت الكسا معهم سوى جبريل
إن الكثير من المدائح فيهم ... قَلٌّ ومدحُ اللّه غيرُ قليل[1]

هم أناس قد علا قدرهم فوق الملائكة، وهو ماثل عند الله تعالى، وهم سفن النجاة التي ينجو من ركبها: [2]

أناسٌ علا فوق الملائك قدرُهم ... فأضحى له عند الإله مثولُ
ركبتُ بهم سفنَ النجاة فلي على ... يقين على شاطي المفاز حصولُ

انه لايريد أن يبتعد عن هذه القمم العالية إلى الوهاد والخفض، فهم سببٌ متصلٌ بحبل الله تعالى، فلا يمكن أن يزيغ عنها: [3]

ومالَ ودِّي إلى القربى التي ظهرتْ ... أعراقُها لا إلى ودٍّ ولا هُبَلِ
آلُ النبيِّ الأُلى آوي إلى سببٍ ... منهم وحبلٍ بحبلِ اللّه متصلِ
وما قصدتُ وقد صيَّرتُهم دَرجا ... إلى نجاتي إلا أقرَبَ السُّبلِ
بانتْ طريقُهم المثلى لسالكها ... فلستُ عنها بذي زيغٍ ولا ميلِ
ما كنتُ أبغي اعتصاماً بالنزول إلى ... خِفْضِ الوهاد عن الانجاد والقللِ

ويقسم على حبه لهم، وليس هناك من يحبهم مثله، فالله أعزه بهم ولن يهون بعد ذلك، فهم سفن النجاة إذا تلاطمت الأمواج : [4]

---

(١)الديوان:١١٠

(٢)الديوان:١١٣

(٣) الديوان: ١١٦

(٤)الديوان:١٥٢

يا أهلَ بيت المصطفى أصبحتم النور المبينا
ولقد جعلتُ عليَّ من نفسي بحبكم ضمينا
إن الإلهَ أعزَّني بكم وأقسم لن أهونا
وإذا طَما بحرُ المخاوف كان ودكم سفينا
ما حدتُ عن حُبِّي لكم حاشا وكلا لن أخونا

ويقرب من هذا المعنى قوله:(١)

يا آلَ طاسين وياسين لقد بدا بكم نورُ الهدى مبينا
أنتم إذا الخوف طَمَتْ أبحره يوم المعاد كنتم السفينا

يهون بذل المال والنفس من اجلهم، قد غذيت حبهم مذ كنت جنينا، فهذا ابن رزيك الذي ماخان عهدهم أبداً ولن يخون: (٢)

ففي هواهم وولائي لهم قد هان بذلُ المالِ والقرينا
فقل لمن كان دخيلَ حبِّهم أنا الذي غُذِّيته جنينا
من مال عنهم دعْه أو أرهبه فلستُ في حبي لهم ضنينا
خُذْ لابن رُزَّيْك الذي ما خانهم عهداً فلا يمكن أن يخونا

ومن صفاتهم عليهم السلام ،أن علومهم عن جدهم أخذت وهو عن الله تعالى وهم سفن النجاة يوم الحشر،لاتلهيهم عن ذكر ملذات الدنيا الفانية من غناء وخمر ولهو : (٣)

قومٌ علومهم عن جدِّهم أُخذَتْ عن جبرئيلَ وجبريلٌ عن الله
هم السفينة ما كنا لنطمع أن تنجو من الهول يوم الحشر لولاهي
الخاشعون إذا جَنَّ الظلام فما تغشاهم سِنَةٌ تنفي بأتباه
وليس يشغلهم عن ذكر ربهم تغريدُ شادٍ ولا ساقٍ ولا لاهِ

---

(١) الديوان: ١٥٥

(٢) الديوان: ١٥٦

(٣)الديوان:١٦٨

ومع الإمام عليّ عليه السلام يسهب الشاعر في ذكر مناقبه ومآثره، ويكرر ذلك في مواضع كثيرة، حتى يخيّل لك انه قد نصب مدحه فيه في كل قصيدة، ويورد مكانته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفضله في الدين وسابقته في الإسلام، وزواجه من البتول فاطمة عليها السلام، وإجماع المسلمين على خلافته : [١]

عليٌّ أميرُ المؤمنين ولاؤه يراه ذوو الأحساب ضربةَ لازبِ
عليه ترى الإجماع لا شك واقعاً ولم تره بعد النبيِّ لصاحب
وزوَّجَه الرحمن بالطهر فاطماً وقد ردَّ عنها راغماً كلَّ خاطب

ويعدد مجموعة من صفاته، فهو العالم في قوله،والكريم في عطائه، والقوي عند النزال، وهو أخو النبي صلى الله عليه وآله وسلموحافظ سره: [٢]

هذا أميرُ المؤمنين ولم يكن في عصره من حاز مثل خصاله
العلمُ عند مقاله والجودُ حين نواله والبأس يوم نزاله
وأخوه من دون الورى وأمينُه قدماً على المخفي من أحواله

هو وصيّه وناصره ومن وآساه، الزاهد في الدنيا التي تزينت له، الذي أوضح المشكلات وقد عجز عنها أهل الفكر والعقل :[٣]

وصيِّه ومواسيه وناصره على أعاديه من قيس ومن يمن
ذاك الذي طلق الدنيا لعمري عن زهد وقد سفرت عن وجهها الحسن
وأوضح المشكلاتِ الخافياتِ وقد دَقَّتْ على الفكر واعتاضت على الفطن

ويقرب من هذا المعنى قوله في موضع آخر:[٤]

مالي إمامٌ غيرُ مَن مكانه ما زال عند ربه مكينا
حللتُ خِيسَ [٥] العزِّ من وداده والليث لا يفارق العرينا
فهو الذي بيّن كلَّ مشكلٍ وهو الذي بهديه هدينا
كان لدين الله درعاً مانعاً وحصنه المُشَيَّدَ الحصينا

---

(١) الديوان: ٥٤

(٢) الديوان: ١٢٧

(٣)الديوان: ١٤٦

(٤) الديوان: ١٥٤

(٥) الخيس: غابة الأسد

العالم الحَبْرُ الذي علومه أبدت لنا زهر الرياض فينا

وأحيانا يذكر هذه الصفات وغيرها مؤكدا تمسكه بصاحبها وانه عبدٌ له، معلنا الحرب على أعدائه والسلم لمن تولاه، وهذا النفس لايكاد يخفى في كل قصائده المدحية والمرثية : [١]

أنا من شيعةِ الإمام علي حربُ أعدائه وسِلم الولي

أنا من شيعةِ الإمام الذي ما مالَ في عمره لفعلٍ دني

أنا عبدٌ لصاحب الحوض ساقي من توالى فيه بكأس روي

أنا عبدٌ لمن أبانَ لنا المشكلَ فارتاضَ كلَّ صعْبٍ أبي

الإمام الذي تخيَّرَه الله بلا مِرْيَةٍ أخاً للنبي

فتجد التكرار الذي وظّفه تأكيدا لما يريد، فهو حربٌ في جانب وعبدٌ في جانب آخر، والإمام يعيش معه في حله وترحاله، في يقظته ونومه، حتى استقر حبه في لحمه وعظامه،ويصل إلى أبعد من ذلك فلولا الإمام لم تقبل له صلاة ولا صيام، ويتمنى أن يسقى من كأسه يوم الحشر:[٢]

أيا مولاي ذكرك في قعودي ويا مولاي ذكرك في قيامي

وأنت إذا انتبهتُ سميرَ فكري كذلك أنت أنسي في منامي

وحبُّك إن يكن قد حلَّ قلبي ففي لحمي استكنَّ وفي عظامي

فلولا أنت لم تُقبَل صلاتي ولولا أنت لم يُقبل صيامي

عسى أسقى بكأسِك يومَ حشري ويبرد حين أشربها أُوامي

ومايزال الشاعر يردد قضية التنصيب في غدير خُم، التي نصّب فيها الرسول الكريم ﷺ الإمام عليّا عليه السلام وليّا على المسلمين في الطريق بعد العودة من حجة الوداع، امتثالا للآية الكريمة :" **يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** " المائدة٦٧، ويوضح كيف لم يمتثل أكثر المسلمين لهذا الأمر .[٣]، فيقول: [٤]

---

(١) الديوان: ١٧١

(٢) الديوان: ١٣٢

(٣) ينظر تفصيل القصة والأحاديث الواردة فيها في كتاب الغدير للعلاّمة الأميني،١/٩-٦١،مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٩٩٤

(٤) الديوان:٧٣

ويوم خُمٍّ وقد قال النبي له ... بين الحضور وَشالَتْ عَضْدَهُ يَدُهُ
من كنتُ مولىً له هذا يكون له ... مولى أتاني به أمرٌ يؤكدهُ
من كان يخذله فاللّه يخذله ... أو كان يَعضُده فاللّهُ يعضدُهُ
قالوا سمعنا وفي أكبادهم حرقٌ ... وكلُ مستمعٍ للقول يجحده

وفي مكان آخر يقول: [1]

ولَعَمري إذ حلَّ في يوم خُمّ ... لم يكن موصياً لغير الوصي
المُبرّى من كلِّ عيبٍ وريبٍ ... والمسوّى بغير نقصٍ وعي

وأيضا يكرر المعنى في نصٍّ آخر، مؤكداً عدم الامتثال لأوامر النبي ﷺ: [2]

أوصى النبيٌّ إليه لا إلى أحدٍ ... سواه في خُمٍ والأصحاب في عَلَنِ
فقال: هذا وصيٌّ والخليفةُ من ... بعدي وذو العلم بالمفروض والسننِ
قالوا: سمعنا فلمّا أن قضى غدروا ... والطهرُ أحمد ما واروه في الجبن

وله أيضا في المعنى ذاته: [3]

وفي الغدير له الفضلُ الشهيرُ بما ... نصَّ النبيُّ له في مَجْمَعٍ حفل

الشاعر دائما يذكر صفاتِ الإمام المعروفة في التاريخ، والتي دلّتْ عليها الأحاديثُ والسير، ويحاول ان تكون قصيدته سجلا تاريخيا لسرد تلك الصفات والمآثر التي اختُصّ بها الإمام ولم تكن لغيره، من قبيل زواجه بالزهراءعليها السلام، وحادثة الغدير، وقتل مرحب وعمرو بن ود العامري، والمبيت في فراش النبيّ ﷺ وردّ الشمس وغيرها الكثير، وهو يصرِّح بأنّ من حادَ عن حبِّ هذا الرجل وتوليه، فانّه دعيّ في نسبه: [4]

ما حاد عن حبِّ البطين الأنزع ... متجنبا لولائه إلاّ دعي
لو قيل بعد المصطفى من صفوة ... الدنيا أشرت إلى البطين الأنزع

---

(١) الديوان:١٧١

(٢)الديوان: ١٤٧

(٣) الديوان: ١٠٧

(٤)الديوان:٨٨

وكما تمسّكَ بأهل البيت عليهم السلام فانه يتمسّك بأبي الأئمة عليهم السلام لأنه المنقذ له في يوم الحشر، ولايمكن أن يبيع ولاءه له بكل ما تحوي الأرض من كنوز، فبه يغفر الله تعالى للمذنبين: [1]

هو الذخيرة لي عند الصراط إذا ... أمسكت في الحشر من أسبابه طرفا
ولو إلى غيره أدعى وتُجعل لي ... ما في البسيطة لم أعلق به أنفا
ولو ذنوبيَ ملءَ الأرض قاطبةً ... تجاوز اللّه عنها لي به وعفا

وفي قصائد المدح نراه يعرّض ببعض الشخصيات والأمور التاريخية التي حدثت بُعيد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كحادثة السقيفة وظلم الزهراء عليها السلام وعدم الوصية من قبل الرسول صلى الله عليه وآله ،الى غير ذلك [2]:

قال النبي لنا: أوصوا ومات كما ... قالوا ولم يوصِ يا بعداً لذي جدل
هذا التناقض أوهى علمهم وبذا ... يستضحك الجهلُ فيه ساير المثل

وعندما يذكر وقائع الإمام عليّ عليه السلام يعرج على واقع المسلمين الذين آثروا الحياة على الموت، وكثيرا ما تركوا النبيّ في أحلك الأمور وأشدها، فيبرز ذلك الضرغام ليجلو ظلمة الكفر بفقّاره، كل ذلك عندما يأتي ليورد مناقب أمير المؤمنين عليه السلام : [3]

الباذلُ النفسَ من دون النبيِّ وقد ... فرَّ الجبانان من عجزٍ ومن فشل
في يوم خيبرَ والأجنادُ شاهدةً ... بنص ذلك منذ الأعصر الأول
ومطعم السائل البادي بخاتمه ... عند الركوع أوان الفرض والنَفل
والخاشع المتجرى في تواضعه ... كأنه لم يصل يوماً ولم يصل

ثم يورد قصة الأحزاب وجرأة عمر بن ود وصاح في المسلمين فلم يجبه أحد غير الإمام عليّ عليه السلام فأورده صديد الموت بعد الفزع والهلع :

سائل به ليلةَ الأحزاب إذ دَلفَتْ ... خيلُ العدى وهي ملءُ السهل والجبل
وجاء عمر[و]*بن ودٍّ في أوائلهم ... من شدة التيه لا يلوي على بطل
حتى توغل صفَّ المسلمين على ... نهد إذا زالت الأجبال لم يزل
هل كان غيرُ أمير المؤمنين له ... قرناً فروّاه من مهل ومن وَهَل

---

(١)الديوان:٩٦

(٢) الديوان: ١٠٧

(٣) الديوان: ١١٧ *وردت في الديوان(عمر) وهو خطأ ربما من الطباعة.

ثم يصرّح وبصوت عالٍ بما تعتمره نفسه، ويردُّ على من يتصنع المفاخر وينسى الحقائق،لقد كان صاحب الغار في أمان رسول الله ﷺ، وتحت عنايته بينما كان عليّ على فراش الموت، ولم تكن الشورى إلا امتدادا للسقيفة والفلتة التي تمسكوا وتركوا بيعة الرضوان:[1]

ما باهلَ المختارُ أهلَ خلافِه	في دينه بفلانةٍ وفلان
كلاّ ولا صلى وتلك وغيرُها	معه بجنح الليل في الأردان
ما كان إلاّ المرتضى في المرط	بالإجماع والزهراء والسبطان
أفخرتم بالغار لمّا حلّه معَه	امرؤٌ في صفِّه وأمان؟
ونسيتم من بات فوق فراشه	متعرضاً لشفار كلِّ يمان
ما كانت الشورى التي قد لُفِّقَتْ	أخبارُها بالزور والبهتان
إلا كيومٍ بالسقيفة شُيِّدت	فيه مباني الظلم والعدوان
يتمسكون لهم ببيعة فلتةٍ	وبها نقضتم بيعةَ الرضوان

وهكذا يمضي الشاعر عبر صفحات الديوان مادحا أهل البيت عليهم السلام، ذاكرا مناقبهم وقربهم من النبيّ ﷺوما اختُصوا به، مسهباً في ذكر مناقب جدِّهم الوصيّ عليه السلام، في الشجاعة والعلم والعبادة والقرب من النبيّ ﷺوالذبّ عنه، وزواجه من ابنته الزهراء عليها السلام وزهده في الدنيا وصبره وثباته، ورجائه في نيل ثواب الولاء له في الآخرة وان يحشر معه، ويؤكد ذلك في مواضع متفرقة مقراً لهم بالعبودية، وأنه سيف من سيوفهم لاتأخذه في طلب حقهم لومةُ لائم، وكانت قصائده أشبه ما تكون بالرسائل العلنية المفتوحة لتقرأ على الناس، وفي أغلبها تواقيع بذكر اسمه (طلائع- طلايع- ابن رزيّك٠٠٠)٠

(١) الديوان: ١٤٥

المبحث الثاني: الرثاء

ترنيمة حزينة صادقة يرددها الأسى على أوتار قلوب مكلومةٍ ، جُرحتْ لفقد حبيبٍ أو قريب، فتشدو الحناجرُ نفثاتِ القلوب بصدقٍ، وهي ترى تلك الحقيقة التي تقضّ المضاجع –الموت– قد خطفت منها من تحب٠

الرثاء أصبح غرضا شعرياً مهما،وبحسب تقسيم شوقي ضيف،فانّ العرب تناولته من ثلاثة اتجاهات [١] :

١– الندب: بكاء الأهل والأقارب حين يعصف بهم الموت، فيكون فيه التفجّع والدموع الغزيرة، وهو لايندب نفسه فقط أو جزء من كيانه كالأب أو الأخ .... فقد يندب من ينزلهم منزلة النفس والأهل ممن يحب، ومراثي الشيعة خير مثال على ذلك ٠

٢– التأبين: ليس نواحاً ولانشيجاً، بل هو أقرب الى ذكر مناقب المتوفّى من الحزن العميق،فتكون فيه العاطفة تتأرجح بين الفتور والمجاملة،ويكون في رجالات المجتمع والسياسة غالبا٠

٣– العزاء:مرتبة عقلية فوق مرتبة التأبين، قد يفضي بالشاعر الى معانٍ فلسفية، فتخف شدة الصدمة ليعود الشاعر يفكر في الكون وخالقه تعالى٠

انَّ غرض الرثاء يأخذ في شعر طلائع حجماً كبيراً في ديوانه، يوازي ما للمدح من مساحة واسعة حتى انه ليتداخل مع المدح في كثير من القصائد، ذاكرا أهم مامرَّ به آل الرسول الكريم ﷺ من محنٍ ومصائب بعد رحيله عنهم، وهو يكرّسه – كما فعل في المديح– في أهل البيت عليهم السلام، مبرزاً بشكل كبير واقعة الطف في كربلاء، وماجرى فيها من الأحداث، متفجّعا ومتوجّعا لتلك المصائب متمنيا لو كان حاضراً فيها ليذود عن آل الرسالة بسيفه ورمحه، وهو مازال يتحرق ألما لذلك اليوم العصيب، فتراه يندبهم ويبكي لما حلّ بهم، بعاطفة صادقةٍ،فينزلهم منزلة نفسه وأهله، بل يفتديهم بنفسه وأهله ٠

فهو في قصيدته التي يعارض فيها تائية دعبل المشهورة، يؤكد هذا المعنى ويصور مشاهد من كربلاء، من هتك لحرمة النساء والأطفال وهم من كرام القوم وأشرافهم: [٢]

فمالوا على أولادِه ونسائهِ وصحبٍ كرامٍ سادةٍ وسراتِ

---

(١) ينظر:الرثاء:د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط ٤، ١٩٥٥، ٥

(٢)الديوان:٦٧

ولم يمنعوا هتك الحريم وسبيهم وهنَّ يجدنَ الأرضَ بالعَبراتِ

وفي قصيدة أخرى يصور المشهد المأساوي، بعد ان يتوصل اليه بمقدمة في الغزل على عادة الشعراء، مشهد الرؤوس على الرماح، ومنعوهم من الماء المباح، بينما يكرع الدعاة من الخمر، فهي أمة غادرة :[١]

حملوا رؤوسَهم الكريمةَ فوقَ أطرافِ الرماحِ

وحَمَوا عليهم من جهالتهم حِمى الماءِ المباح

والخمرُ يكرع بينهم فيها الدعيُّ من السِّفاح

يا أمةً غدرتْ ونورُ الحقِّ أبلج ذو القناع

هذه المشاهد لاتفارق مخيلته، فهي تمنع عليه النوم وتحرمه لذته، وللفرات أهميةٌ كبيرة في رثائه للإمام الحسين وأهل بيتهعليه السلام وقد منعوا منه، بينما تشرب منه الكلاب والخنازير، فهي أمة أشبهت عادا وثمود: [٢]

في أمةٍ قد أشبهتْ عاداً كما قد شُبِّهتْ في بغيها بثمود

فإذا تذكرتُ الشهيدَ فمقلتي لا تنطوي إلا على التسهيد

منعوا الحسينَ من الفرات لقد أتوا في قتله بالمعضلات السود

حملوا حريمَ المصطفى سبياً كأ مثال الإماء على المطايا القود

أوصاهم الرحمنُ وداً فيهم فنفوهم بالقتل والتصفيد

وكما كان الحال عنده في المديح، كذاك الأمر في الرثاء، إذ يتمنى أن يكون معهم فينصرهم بسيفه، لكنه نصرهم بفيض الدمع الذي سابق الخيل، ولسانه الناطق الحاد على الأعداء لكنه مع هذا يفضل الموت على أن يسمع ماحلّ بهم : [٣]

إذ لم تكن خيلي انبرت في نصرهم ركضاً فخيل الدمع أمست رُكَّضا

أو لم يكن سيفي مضى في يومهم فلسيف نطقي في عدوِّهم مضى

يا ليتني من قبلُ أسمع عنهمُ ما قد سمعت قضيت فيمن قد قضى

---

(١)الديوان: ٧١

(٢) الديوان: ٧٥

(٣)الديوان:٨٣

وفي قصيدة أخرى، يبدأ مباشرة بنداء تربة الطّف التي جادت عليها تلك الأجساد الزواكي التي منحتها الخصب،يشير فيها الى منعهم من الماء، والى النكث بالعهود من قبل القبائل التي دعتهم الى كربلاء وكيف باعوا الدين بالدنيا....[1]

منعتْ لذيذَ الماء منه كتائبٌ منهم منيعة
قد أشرعتْ صمُّ القنا فحمته من وردٍ شروعه
غدرتْ هناك وما وفت مضرُ العراق ولا ربيعة
لمّا دعته أجابَها ورعا فما كانت سميعة
شاع النفاقُ بكربلا فيهم وقالوا نحن شيعة
هيهات ساء صنيعهم فيها وما عرفوا الصنيعة

ويختمها في خاتمتها الامامَ عليّا عليه السلام كونه المعزى في أبنائه وأحفاده، فهو صاحب الدرجات الرفيعة، وما هذه المحن إلا لقربه وصلته بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله :! [2]

صبراً أميرَ المؤمنيـ ن فأنت ذو الدرج الرَفيعة
صلةُ النبيّ اليك كا نت منهم سببَ القطيعة

وهو متحسّر دائما لأنّ سيفه لم يطل تلك الهامات في الطّف فيشفي غليله منهم، حتى يلاقي ربه بوجه أبيض يوم تسودّ الوجوه: [3]

وإنني لقتيل الطّف مكتئب إذ راحتي لبني اللخناء لم تطلِ
وإنّ سيفي عفٌّ عن دمائِهم وإنّ طرفي على الأنجاس لم يَجُلِ
حتى أكونَ إذا اسودّتْ وجوهُهم ألقى إلهي بوجهٍ في المعاد جلي

وفي نصٍّ آخر يرثي أهل البيت عليهم السلام بعد مقدمة فيها حديث مع النفس، يفضي الى الحكمة والموعظة، مرورا بوفاة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى قضيّة الزهراء عليها السلام ومنعها من الإرث وذكر عدم الوصيّة:[4]

ثم تعدّوا إلى اغتصابهم الز هراء ما نفلَت من النَفل
وصيّروا إرثها لوالدِها مقسّماً في الرِّعاع والسَفل

---

(١) الديوان: ٩٢

(٢) الديوان: ٩٤

(٣) الديوان: ١٠٩

(٤) الديوان: ١٢٣

نعم وقالوا عنه هنالك ما لم يوصِ يوماً به ولم يَقُل

والقصدُ أن ينقلوا الخلافةَ عن بنيه، والحقُّ غير منتقل

والشاعر في رثائه وبكائه على أهل البيت عليهم السلام يحاول أن يعزز الغرض بما يلائمه من الحوادث والأحاديث وذكر المناقب، من أجل تشخيص الفاجعة وإحكامها في القلب، وهو ماكان يفعله أيضا في مدحهم وذكر مآثرهم،ولم يكن بمنأى عن الإفصاح عن مشاعره جراء ماحصل، وشدة أسفه إذ لم يكُ حاضرا، فيكون لسيفه تلك الصولة، كما هو حاله اليوم مع لسانه المدافع عنهم : [1]

لو لم يكن لي مفخراً أسمو به إلا ولائي للنبيّ كفاني

قال النبيّ لنا الكتاب وعترتي من أهل بيتي ليس يفترقان[2]

أبداً كأنهما إلى أن يأتيا حوضي وضَمّ بنانَه هاتان

وفي مكان آخر تبقى ترنيمة الطّف لاتنفك عنه، بكل أوجاعها وهي معه في أغلب أبيات الرثاء مصوّرا ماجرى على العترة الطاهرة، متحسّراً على فقدهم وعلى عدم حضوره معهم، وهم عطاشى، وبجنبهم نهر الفرات، تلك المأساة التي لاتكاد تخلو منه قصيدة في رثاء أهل البيت عليهم السلام :[3]

حتى لقد حملوهم في زمان بني أميّةَ فوق حدِّ الصارم الخشن

لأَن عداني زماني عندهم فلقد ذمَمْتُ لما عداني عنهمُ زمني

يا حرَّ قلبي على قتل (الحسين) ويا لهفي ويا طول تعدادي ويا حزني

لهفي على الأنجم الزهر التي أفلت وأبعدتها بنو حرب عن الوطن

سَبوا حريمَ رسول الله بل طعنوا فيه، بهم بأنابيب القنا اللّدُن

لهفي على عُصُب بالطّفِ ظاميةً نالت من القتل فيهم أعظمَ المحن

وآلُ حربٍ لهم صفوُ الفرات ولم يُسمَح لهم بشراب الآجن الأسن

أشهى إليّ من المحيى الممـــات إذا ذكرتُ مصرَعَهم واعتارني حزني

وهو يحمِّل العيسَ الغاديةَ الى كربلاء رسالةً يبثُّ فيها مشاعره تجاه الإمام السبط الحسين عليه السلام، ويطلب من راكبها– ويقصد القافلة بركابها– ان ينادي في ضريحه، فهو غاية المتوسلين، وعروة

---

(١)الديوان:١٤٤

(٢)إشارة الى الحديث النبوي" إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض"

(٣) الديوان: ١٤٧

الدين المتين، وبحر العلم، وقبلة الأولياء، وكعبة للطائفين، كما يبلغُه حسرته التي تبقى على مرّ السنين:[١]

يا راكباً قطع القرينا بالعيس إذ تشكو البرينا
بلّغ رسالة مؤمن تسعد بها دنيا ودينا
في كربلا ثوى ابن بنت رسول رب العالمينا
قف بالضريح وناده يا غاية المتوسلينا
يا عروة الدين المتين وبحر علم العارفينا
يا قبلة للأولياء وكعبةً للطائفينا
لهفي عليك وحسرتي تبقى على مرّ السنينا

وتتلاحق الصور التي تشخص ماجرى في كربلاء، مكررا في الأغلب ماكان يذكره مما جرى في تلك المعركة،ويبدو إن القصائد التي كتبها في سنوات عمره الأخيرة كانت أكثر تصويرا للحدث من سابقاتها

حتى انّ القلب يصبح بئراً يفيض بماء البكاء، العيون تتفجر عيوناً :[٢]

هل الوجدُ إلا زفرةٌ وأنينُ أم الشوقُ إلاّ صبوةٌ وحنينُ
وجيشُ دموعٍ كلما شنَّ غارةً أقام له بين الضلوع كمين
وما خلتُ أن القلبَ يصبح للبكا قليباً ولا أن العيون عيون
وبي لوعةٌ لا يستقرُّ نزاعها لها كلما جنَّ الظلام جنون

كل هذا إذا عنّ له تذكار ماجرى في كربلاء، إذ لايكون الحزن حزنا إلا عليهم،فهم تلك الشجرة التي هوت منها الأغصان والفروع، حتى انّ النهار صار ليلاً مظلماً عليهم، ولا أحد يستطيع أن ينكر حقهم الذي يشرق مثل الصباح:

إذا عنّ لي تذكارُ سكانِ كربلا فما لفؤادي في الضلوع سكونُ
فإن أنا لم أحزن على إثر ذاهبٍ فإنّي على آل الرسول حزين
فإن يخلُ في الدنيا مكانُهم أما مكانهم يوم المعاد مكين
هوتْ،وزوتْ منهم عشية قتلوا أصول زكت أعراقُها وغصون
وأظلمَ مبيّضُ النهارِ عليهم وحقهم مثل النهار مبينُ

---

(١)الديوان:١٥٠-١٥١

(٢)الديوان:١٦٠

ثم يتابع صور المعركة وما جرى على الأجساد التي بكتها الأرض الغليظة والسهول،حتى الصخور تكاد تلين لشدة المشهد وقساوته، معززاً ذلك المشهد بمشهد آخر للخيل وهي ترضّ أضلعَهم وظهورَهم وان ماجرى في كربلاء يهون دونه كل خطب،وأيضا يكرر منعهم من ماء الفرات،وحسرته على عدم وجوده معهم في ذلك اليوم :

بنفسيَ صرعى لم تُجَنَّ لحومُهم بكتهم سهولٌ حولهم وحزونُ

ولو أنَّ صُمَّ الصخر تقرب منهم لأبصرتَ صمَّ الصخر كيف تلين

وربضت عليهم خيلهم وركابهم فرضت ظهور منهم وبطون

ألا كلُ رزءٍ بعد يومٍ بكربلا وبعد مصاب ابن النبي يهون

يذادون عن ماء الفرات وغيرهم يبيت بصرف الخمر وهو بطين

أسادتنا لو كنت حاضر يومكم لشابت بسيفي للطغاة قرون

ويبقى الشاعر في كل قصائد الرثاء، يشكو ماحلّ بآل البيت عليهم السلام، مصوِّراً المشاهد في كربلاء،والسقيفة وما بعدها،وانّ الأمة لم تحفظ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في آل بيته وقد وصّاهم بهم،وظلم الزهراءعليها السلام،وفي كل ذلك يبثّ شوقه وتحرقه لأخذ ثأرهم، وكم كان يتمنى أن يكون حاضرا يوم الجمل وفي كربلاء٠

المبحث الثالث:شعر الجهاد

مرّ بنا في التمهيد الدور الكبير للشاعر الوزير طلائع بن رزيّك في الحروب الصليبية وجهاده، وتحمسه لهذا القتال،وكان يواصل بعث الأساطيل والقوات،لغزوهم حتى أيام حياته الأخيرة، وكان يحمل الشعور الوطني الحقيقي، وقد ساعد الشام في حروبهم ضد الصليبيين، منطلقا من دافعه بالوحدة الإسلامية٠

والمهم في كل ذلك، أنه دوّن تلك المعارك والانتصارات شعراً، تم حفظه من خلال ماوجد في ديوانه وديوان أسامة بن منقذ، فحفظ للتاريخ صفحاتٍ مشرقةً، لم تكن موجودة في أغلب كتب السير والتراجم، فكان بحق ما فعلته تلك المراسلات الشعرية بينه وبين أسامة من هدف سامٍ وهام في سجل الحروب الصليبية في الشام ومصر ٠

وقد ساهم طلائع في المعارك بنفسه، ودوّن ذلك شعرا مبرزا فيه الوصف الكامل لأغلب المعارك التي خاضها، أو التي لم يكن فيها لكنه أشرف عليها، وفيما ورد من قصائده العشر في ديوانه وكلها مرسَلة الى صديقه الشاعر أسامة بن منقذ، وأغلبها موجودة في ديوان أسامة – وهي حسنةٌ تحسب لأسامة كونه أحد الأيادي التي حفظت تراث صديقه الشاعر طلائع بقصد أو بغيره– إلاّ واحدة لم تعنون الى أحد في ديوان طلائع، ولكن على الظاهر أنها كسابقاتها قد سِيقت اليه، وجاء فيها :[١]

توالت علينا في الكتائب والكتب ... بشائرُ من شرق البلاد ومن غربِ

بشائر تهدي للموالي مسرةً ... وتحدث للباغين رعباً على رعب

ففي كبدٍ من حرِّها النار تلتظي ... وفي كبد أحلى من البارد العذب

جعلنا جبال القدس فيها وقد جرت ... عليها عتاقُ الخيل كالنّفنَف السُّهبِ*

فقد أصبحت أوعارُها وحزونُها ... سهولاً تُوطَّا للفوارس والركب

ولمّا غدَت لا ماءَ في جنباتها ... صببنَا عليها وابلاً من دمٍ سَكب

وجادت بها سحبُ الدروع من العدا ... نجيعاً فأغنتها الغداة عن السُّحب

وأجرتْ بحاراً منه فوق جبالها ... ولكن بحار ليس تعذب للشرب

فقد عمَّها خصبٌ به من رءوسهم ... بها ولَكَم خصبٍ أضَّر من الجدب

وقد روعتها خيلُنا قبل هذه ... مراراً وكانت قبلُ آمنةَ السرب

---

(١) الديوان : ٥٨ * عتاق الخيل:الكريمة،النفنف:الفلاة، السهب:ما استوى من الأرض

هذه الأبيات تأكيد للبشارة بالنصر على الأعداء من حملة الصليب، وما أذاقهم من القتل والتشريد، وهي للموالي مسرة وفرح، وللمخالف الباغي رسالة رعب وخوف، وجالت الخيول على تلك الجبال فجعلتها كالأرض المنبسطة، حتى صار كلُ مكانٍ وعرٍ سهلاً، تطأه حوافرُ الخيل، وسقتها الدماء من الأعداء فصارت بحاراً، لكنها لاتصلح للشرب،لأنها اكتسبت تلك الخصوبة من تلك الرؤوس التي هي أضرُّ من الجَدب، ويشير الى أنّ هذه ليست المرة الأولى التي تسحق فيها هذه الجماجم ٠ وفي قصيدة أخرى الى أسامة والتي مطلعها:

بأبي شخصك الذي لا يغيب عن عياني وهو البعيدُ القريب

وهي في أربعة وستين بيتا، يبثُّ فيها مشاعره الصادقة وحرقته على فراق صديقه أسامة وما حلّ بأهله في شيزر الذين توفوا بالزلزال، ويؤكد على طيب العلاقة وأمله في العودة الى مصر، ويشيد بشجاعته في الحرب، ورجاحة عقله في السِّلم :

ولعمري إن المناصحَ في الدِّين على اللّه أجرُه محسوبُ
وجهادُ العدوِّ بالفعل والقول على كلِّ مسلم مكتوب
ولك الرتبة العليّة في الأمرين مذ كنتَ إذ تشبُّ الحروب
أنت فيها الشجاع مالك في الطعن ولا في الغراب يوماً ضريب
وإذا ما حرضت فالشاعر المفلق فيما تقوله والخطيب[١]

الى أن يصل الى الغاية المهمة، وهي التحريض على قتال الصليبيين، وأن يكون أسامةُ الوسيطَ بينه وبين نور الدين زنكي في الشام لقتالهم :

فانهض الآن مسرعاً فبأمثالك ما زال يُدركُ المطلوب
والق عنَّا رسالة عند نور الدين ما في القائها ما يريب
قُلْ له دام ملكه وعليه من لباس الإقبال بردٌ قشيب
أيُّها العادلُ الذي هو للدين شباب وللحروب شبيب[٢]

يحمّله رسالة لاتقبل التأخير، فهو يدعو له بالعافية ودوام الملك عليه والشباب، فهو فتوة للدين تحميه وهو في الحروب كشبيب الشيباني الثائر في العصر الأموي،والذي له الصولات المشهورة مع

---

(١)الديوان:٦٣-٦٤

(٢)الديوان:٦٤

الصليبيين،ان كنت تريد ان تستأصل شأفتهم، فعندنا المال مايكون منه كالمطر والعدد والسلاح، فقط تخيّر لنا موعدا نطبق عليهم فيه ويكون مانريد نحن وأنتم :

وغداً منه للفرنج إذا لاقوه يوم من الزمان عصيب
غيرنا من يقول ما ليس يمضيه بفعل وغيرك المكذوب
قد كتبنا إليك فأوضح لنا الآن بماذا عن الكتاب تجيب؟
قصدنا أن يكون منَّا ومنكم أجلٌ في مسيرنا مضروب
فلدينا من العساكر ما ضاق بأدناهم الفضاء الرحيب
وعلينا أن يستهل على الشام مكان الغيوث مالٌ صبيبُ [١]

وفي قصيدة أخرى يفتخر فيها بانتصاراته عليهم، وبقى العز وثوب الرفعة ملازما له ولجيشه، فالمال يفنى ولكن يبقى الأجر والذكر الحسن، فهو في السلم والحرب يبذل المال، للحرِّ والعبد، وربّما يكرر هذا المعنى في أكثر من موقف، ليردّ به على من يتهمه بحبه للمال واكتنازه له، وكانت قصيدة أسامة المعروفة والتي مطلعها:

أبى اللّه إلا أن يكونَ لنا الأمر لتحيا بنا الدنيا ويفتخرَ العصر [٢]

أمّا أبيات طلائع فهي: [٣]

أبى اللّه إلا أن يدينَ لنا الدهرُ ويخدمنا في ملكنا العزُ والنصرُ
علمنا بأنَّ المال تفنى ألوفه ويبقى لنا من بعده الأجرُ والذكرُ
خلطنا الندى بالبأس حتى كأننا سحاب لديه البرق والرعد والقطر
كما أننا في السلم نبذل جودنا ويرتع في إنعامنا العبد والحر

إذ يقول في مكان آخر:

وما شغفي بالمال أبغي بقاءَه ولكن أريه حتفَه بالمواهب [٤]

وقوله في قصيدة أخرى:[١]

---

(١)الديوان:٦٥

(٢) الديوان :٨١، ديوان أسامة بن منقذ: تحقيق : أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ٢٥١

(٣)الديوان:٨١

(٤) الديوان:٥٣

ونفتكُ بالأموال في السِّلم دائماً كما نحن بالأعداء نفتك في الحرب

والقصيدة الأخرى التي كانت رداً على قصيدة أسامة التي مطلعها: [٢]

أجيرةَ قلبي إن تدانَوا وإن شَطُّوا ومنية نفسي أنصفوني أو اشتطوا

فأجاب الصالح طلائع بالطائية التي نالت إعجاب صاحب الخريدة[٣]، وقد ذكر فيها بعد المقدمة الغزلية، غربة أسامة عنه في الشام وما حلّ به من الخوف والقحط، ويتمنى عودته لأنه يعده من أسرته لا من أصدقائه، ثم يصل إلى الغرض المهم وهو وصف البطولة والسيوف والخيول .... [٤]

هي البدرُ لكنَّ الثريا لها قرطُ ومن أنجم الجوزاء في نحرها سمطُ

وبعد أربعة وعشرين بيتا، يبدأ وصف الجيش وهجومه على العدو الذي لم تمنعه دروعه من حدة السيوف، ولم ينفعهم الصلح الذي كاتبوا فيه،لكنها الحرب التي تزهق فيها الأرواح بلا هوادة، يشترك فيها الشباب والكهول على ظهور الخيل التي تخرق الأرض :

وتخرق شرقَ الأرض والغرب خيلُنا عليها الشبابُ المردُ والجلةُ الشُّمطُ

سَللنا بها البيضَ السيوفَ فلاح في شباب الدجى لما بدا لمعها وَخْطُ

سيوفٌ لها في كل درعٍ وجنةٍ إذا ما اعتلتْ قدُ أو اعترضتْ قَطُّ

ذخرنا سَطاها للفرنج لأنها بهم دون أهل الأرض أجدرُ أن تسطوا

وبعد هذا الوصف الدقيق للمعركة والخزي الذي لحق بملكهم "ابن الفنش"، يعود ليكرر النداء الى نور الدين فيدعوه الى القتال وألاّ يهادن، لأنهم لايمكن أن يصدرَ منهم الوفاء،وعليه أن يشمّر للقتال، فلا حجةَ بعد ذلك لمن اعتذر فانَّ المال والسلاح لدينا والجيوش لن تتباطأ عن الجهاد:

فقولوا لنور الدين ليس لجائفِ الجرا حاتِ إلا الكيُّ في الطب والبطُّ

وحسمُ أصولِ الداءِ أولى لعاقلٍ لبيبٍ إذا استولى على المدنفِ الخَلطُ

فدع عنك ميلاً للفرنج وهدنةً بها بدا يخطى سواهم ولم يخطوا

---

(١)الديوان:٥٩، كذلك في صفحة ٨٦: فيصبح بسط الكف بالمال عندنا وكل مليك عنده القبض والبسط

(٢)الديوان:٨٤، ديوان أسامة بن منقذ،١٢٨، شطوا: بعدوا واشتطوا: جاروا

(٣) خريدة القصر:١٧٥ قال: ومطلعها في غاية الحسن

(٤)الديوان:٨٤

تأملْ فكم شرطٍ شرطت عليهم قديماً وكم غدر به نقض الشرط
وشَمِّر فإنا قد أعنا بكل ما سألتَ وجهزنا الجيوشَ ولن يبطوا
ودونك (مجدَ الدين) عذراء زفها إليك الوفاء المحض والكرم البسط
هديا تهادى بين حسن وفائنا وإنعامنا ذا التاج زان وذا القرط[1]

انّ هذه الروح الحماسية لم تكُ تقابل بما تستحق خدمة للصالح العام وهو حفظ الدين، والذب عن الحدود الإسلامية في بلاد الشام ومصر، وعدم الاتكال على الهدنة والمصالحة مع العدو، فهو يهدي الى أسامة هذه العروس المكلّلة بالوفاء والسخاء ٠

وأرسل قصيدة بخط يده الى أسامة، يخبره بالانتصارات على الأعداء وهو أهم الأمور عنده، وأيضا يؤكد على نور الدين ويتمنى له الشفاء كي يقوم بما عليه تجاه الأعداء،فهو المرجو لذلك:

وأهمُّ الأمور أمرُ جهاد الكفر فاسمعْ فعندنا التحقيق
واصلتْهم منا السرايا فأشجاهم بكورٌ منا لهم وطروق
وأباحت ديارهم فأباد القوم قتل ملازم وحريق
وانتظرنا بزحفنا بُرءَ نورِ الدين علماً منا بأنه سيفيق
وهو الآن في أمان من اللّه وما يعتريه أمرٌ يعوق
ما لهذا المهم مثلك (مجدَ الدين) فانهضْ به فأنت حقيق
قلْ له لا عداه رأي ولا زال لديه لكل خير طريق
أنت في حسم داء طاغية الكفّار ذاك المرجوُّ والمرموق
فاغتنم بالجهاد أجرك كي تلقى رفيقاً له ونعم الرفيق[2]

فتراه لايدع لنور الدين حجة في ترك القتال، بذلك السرد القصصي الذي مارسه مع أسامة وهو يقصّ عليه ماجرى بعد الفعل (اسمع)، وكذا الحال في قصيدته اللّاميّة الى أسامة، حيث وصف جيوشه وعدّتها وقوتها،ووصف خيوله وهي تغدو على الأعداء خفيفة مسرعة ثم تعود محمّلة، حتى بلغ الأمر بالأعداء الى الهرب من ديارهم لهول مارأوه، وفيها صرّح بعدم امتثال نور الدين كعادته لما يقول طلائع،وترك الامر دائما للاعتزال، فانه سيُسَلِّم أمره الى خالقه تعالى:

ونبتْك الأخبارَ إن أضحتْ قصاراً أو طوالا

---

(١) الديوان:٨٧

(٢)الديوان:١٠٣

سارت سرايانا لقصـ د الشام تعتسف الرمالا
تزجي إلى الأعداء جر دَ الخيل أتباعاً توالى
تمضي خفافاً للمغا رِ بها وتأتينا ثقالا
حتى لقد رام الأعا دي من ديارهم ارتحالا
نهضت إليها خيلُنا من مصرَ تحتمل الرجالا
فلو انّ نورَ الدين يجـ عل فعلنا فيهم مثالا
ويسيِّر الأجنادَ جهـ راً كي ينازلهم نزالا
ويفى لنا ولأهل دو لته بما قد كان قالا
لرأيت للأفرنج طرْ رَاً في معاقلها اعتقالا
وإذا أبـى إلا اطِّرا حاً للنصيحة واعتزالا
عُدنا بتسليم الأمو رِ لحكم خالقنا تعالى[1]

وهي قريبة في مضمونها من أبيات لاميةٍ أخرى مرسلة إلى أسامة، يؤكد له ماغنمه الأسطول المسلم من (الإفرنج) بالجد وليس بالتأميل، متوكلا على الله تعالى، ويطلب منه ان يبلغ ذلك إلى نور الدين وعليه أن لا يماطل ويهادن الكفار:

إن بعض الأسطول نال من الإفرنج ما لا يناله التأميل
سار في قلة وما زال باللّه وصدق النيات ينمي القليل
فأبلغَنْ قولنا إلى الملك العادل فهو المرجو والمأمول
قل له: كم تماطل الدين في الكفار فأحذر أن يغضب الممطول
سِر إلى القدس واحتسبْ ذاك في اللّه فبالسير منك يشفى الغليل
وإذا ما أبطأ مسيرك فاللّه إذاً حسبنا ونِعم الوكيل[2]

وتبقى للقصيدة الميمية تلك النغمة المدوّية التي تذكر ببطولات سيف الدولة التي خلّدها المتنبيّ في شعره، وكأنّ الشاعر هنا يحاكي أبا الطيّب في تسطيره للملاحم، ففيها يذكر الانتصارات التي تحققت على يد قوّاده سنة ٥٥٣هـ مع الصليبيين بقيادة ضرغام ومن معه، ويذكر فيها القبائل العربية التي شاركت فيها، والقوّاد الذين استشهدوا، وكذلك قوّاد العدو الذين وقعوا في الأسر أو

---

(١)الديوان:١٢٤-١٢٦

(٢)الديوان:١٢٨-١٣٠

قتلوا، وهي في أربعة وستين بيتاً،وهو يؤكد على غزو العدو في عقر داره،من أجل إذلاله، كما أنه يعود مرة أخرى داعيا نورَ الدين الى المشاركة في القتال، ولاييأس بسبب سلب الصليبيين منه (حارم) :

ألا هكذا في الله تمضي العزائم وتمضي لدى الحرب السيوف الصوارمُ
وتستنزلُ الأعداء من طود عزهم وليس سوى سمر الرماح سلالم
وتغزى جيوش الكفر في عقر دارها ويوطا حماها والأنوفُ رواغم[١]

ومنها:

يسير بها ضرغامُ في كل مأزق وما يصحبُ الضرغامَ إلا الضراغمُ
ورفقته عينُ الزمان وحاتمُ ويحيى وإن لاقى المنيةَ حاتم
مضى طاهرَالأثوابِ من كل ريبة شهيداً كما تمضي السُّراة الأكارمُ [٢]

ومنها:

وعادوا إلى سلِّ السيوف فقطِّعتْ رؤوسٌ وحُزَّت للفرنجِ غلاصم
فلم ينجُ منهم يوم ذاك مخبّرٌ ولا قيل هذا وحده اليوم سالم[٣]

ومنها: [٤]

فقولوا لنور الدين لا فُلَّ حدُّه ولا حكَّمَت فيه الليالي الغواشم
تجهَّز إلى أرض العدو ولا تَهنْ وتظهرْ فتوراً إن مضت منك حارم

ومنها: [٥]

وأسطولنا أضعافَ ما كان سائراً إليهم فلا حصن لهم منه عاصم
ونرجو بأن نجتاحَ باقيهم به وتحوي الأسارى منهم والغنائم
على اننا نلنا من المجد ما به نفاخر أملاك الورى ونقاوم

وله قصيدة أخرى بثّ فيها صدق مشاعره نحو أسامة وتعددت فيها الأغراض، بعدما سيّر إليه أهله من مصر الى الشام،وفيها أيضا وصف غاراته والفتك بالقواد الإفرنج وأسر بعضهم، ولم يذكر فيها

---

(١)الديوان:١٣٥
(٢)الديوان:١٣٧
(٣) الديوان:١٤٠
(٤)الديوان:١٤١
(٥)الديوان: ١٤٢

نور الدين، وآخر ما في الديوان قصيدته اليائية،يخبره ويزف له البشرى بانتصارات جيوشه على الإفرنج وفعلت فيهم أفعال الجاهلية، سرية تغير صباحا وأخرى في العشيّة،وترجع برؤوسهم على الرماح،ويستحثه هنا الى نور الدين ليبشره بهذا النصر طالبا منه النهوض، ولاعذر له اليوم فامّا أن ينهض لنصر دينه أو دفاعا عن ملكه أو للحمية العربية :

يهنيك أن جيوشَنا فعلتْ فعالَ الجاهليةْ
سارت إلى الأعداء من أبطالها مائتا سريةْ
فتغيرُ هذي بكرةً وتعاود الأخرى عشيةْ
جاءت رؤوسُهم تلو ح على رؤوس السمهريةْ
فانهضْ فقد أُنبيتَ مجدَ الدين بالحال الجليةْ
ألممْ بنور الدين وآعلمه بهاتيك القضيةْ
فهو الذي ما زال يخلص منه أفعال ونية
ويهد جمع الكفر بالبيـ ض الرقاق المشرفية
فعساه ينهض نهضة يفني بها تلك البقية
إمّا لنصرة دينه أو ملكه أو للحميَّة[1]

من كل ما تقدّم، يمكن القول أن شعر الحرب والجهاد عند طلائع يتوزع على اتجاهين هما:"وصف معاركه ضد الصليبيين، وحث نور الدين على مواصلة جهادهم"[2]، لكن كلُ ذلك بقي في حيّز الأمانيّ ولم يبصر النور لأسباب مرّ ذكرها في حياة طلائع، ولو تم هذا الاتفاق لتغير مسار الأحداث بشكل كبيرٍ جدا٠

" كان طلائع شجاعاً بل مثالاً عاليا من الشجاعة" [3]، والجهاد كان قضيته الكبرى، ومن كل ما مرّ من قصائده تجد ذلك النفس الإسلامي الغيور،المحامي عن بلاده ولم يدخر وسعا في ذلك من

---

(١) الديوان :١٧٣

(٢) شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام:د. محمد علي الهرفي، دار المعالم الثقافية،، السعودية، ط١، ١٩٧٩،٢٧٨

(٣)عصر الدول والإمارات – مصر– :٣١٤

المال والسلاح والعدد والصولة باليد واللسان،" ويبدو طلائع غيورا حقا على اغتصاب أرض الإسلام توّاقا الى أن تُهيّأ له الوسائل للقضاء على الصليبيين، إذا استطاع" [١] .

غير أنّ المهم في ذلك هو ذلك الأسلوب الفريد الذي اتبعه طلائع في مراسلاته مع صديقه الشاعر أسامة بن منقذ،فكانت قصائد الجهاد على هذا الشكل تعد فريدة في طريقتها وتعاملها مع الحدث، وهي مشحونة بالصدق وعدم المبالغة والغلو في الوصف، وبعيدة عن التكلف،مع ما تعكسه من شاعرية متدفقة بين شاعرين وفارسين .

وهذه القصائد وحدها تكفي لرد التهمة التي أوردها ياقوت من ان المهذّب ابن الزبير كان ينظم له ويعينه القاضي الجليس، فلا يمكن لهذه المشاعر أن تكون متصنَّعةً، وأسامة أعرف بصديقه الشاعر من غيره، وكثيرا ماتجد في قصائد أسامة مايُنبئ بشاعرية طلائع وجوده وصدقه في أخوّته

---

(١) الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام : د.أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة، ط٣، ٢٠١٠، ٥٠١

المبحث الرابع:الغزل

من الفنون الشعرية التي يعبر فيها الشاعر عن أحاسيسه ومشاعره بصورة صادقة،الغزل، لصدوره عن أحساس شخصي خالص، وهذا اللون من الشعر له القدرة على تصوير النفوس والتعبير عما في داخلها،من دون الحاجة الى التصنع والمبالغة.

" والشعراء دون غيرهم يصورون هذا الحب بعاطفة صادقة، فيتدفق على ألسنتهم من وجدان مرهف ليعبّر عما يجيش في خاطر الشاعر، وعمّا يختلج في قلبه" (١)

وشغل الغزل مكاناً واسعاً في موروثنا الشعري الذي خلّفه لنا عصر ما قبل الإسلام، ويكاد يكوّن الجزء الأكبر من ذلك الموروث،فلا تكاد تخلو قصيدة في مطلعها من الغزل .

أمّا عن طلائع، فغزله تقليدي سار فيه على نهج أسلافه الشعراء، في مخاطبة الربع، أو ذكر محاسن المرأة، وأحيانا تشبيهها بالظبي والرشا، ووجد عنده الغزل على شكل مقطعات قصيرة، أو في مقدمات بعض قصائد المديح والرثاء أو يستعمل التغزل بالمذكر على الظاهر والمراد هو المؤنث.

قال في غلامٍ رآه لابساً الحديد في يوم العيد:

لبس الحديدَ فزاد في إعجابهِ ... بدرٌ تظل الشمسُ من حجَّابهِ

لا مطمع في أن يرقَّ وقلبه ... أقسى على العشاق من جلبابهِ

قد كان يغنيه سيوف لحاظه ... عن حمل صارمه ليوم ضرابه

لو جاد لي فوق اللثام بقبلة ... تشفي فؤاد الصَّب من أوصابه

روّيتُ ظامئة الرماح من العدا ... وضنيت من ظمأ لِبرد شرابه(٢)

فهو كالبدر، والشمس تحرسه، لكنه أقسى على العشاق مما يلبس من حديد، ولحاظه أحدَّ من السيف فهي تغنيه عن حمله في الضراب، ويتمنى أن يجود عليه بقبلةٍ تطفئ نار الفؤاد المتوجِّع، وتكون المعين الذي ينهل منه القوة على الأعداء، والتقليد في هذا النص واضح، كما هي المبالغة وأغلب مقدمات قصائد الرثاء تبدأ بالغزل على عادة الأقدمين، ليخلص منها الى الغرض الرئيس وهو النوح والبكاء والحسرة على أهل البيت عليهم السلام،كما في قوله:

يا للرجالِ لمدنفٍ مجهودِ ... لم يؤتَ من هجرٍ وطولِ صدودِ

نظرَ الغزال فما يُغَرَّ بسحر ذا ... ك اللحظ منه ولا بحسن الجيدِ

---

(١) الغزل في الشعر العربي:سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت، ب. ت

(٢)الديوان:٥٧

هذا ولم يعلق بذاتِ مؤالفٍ ومعاطف وروادف ونهود
لكنه غماً وحزناً مثل من غلبت عليه سُلافةُ العنقود
أسفاً لموت الدين بعد حياته ودثور نهج مسالك التوحيد
ولأجل ما قد بات آلُ محمد من مبدءٍ في ظلمهم ومعيد[١]

فهذا الرجل المريض المنهك، لم يكن ما به من صدِّ الحبيب عنه وهجرانه، فلم تعد تسحره الألحاظ أو الجِيد والردف وبكل محاسن الفتاة الجميلة، لا لشيء إلاّ لموت مسالك التوحيد ولما حلّ بآل البيت عليهم السلام، فهذا الغزل مدخل لبث المواجع والمآسي ٠

وفي مكان آخر يخاطب العاذل اللائم له على عدم كتمان سر الهوى، فيقول : انّ سرّه قد فشى، وهذا الغرام ينقله الواشي، فهو أسدٌ قد فتك به ظبي مازال صغيرا! :

عاذلي عذلك سهمٌ في الحشا كيف كتماني وسرِّي قد فشى؟
صارماً بي من غرام كامن ظاهراً ينقله واشٍ وشى
من رأى قبلِيَ يا ريم الفلا أسداً يقنصه لحظ رشا؟![٢]

ونجده يقف على الطلل، يستعين بصاحبي تلك الأرض المنبسطة، كي يساعدانه على ذرف الدمع على فراق الأحبة،وهي أنفس تسيل من العيون لا الدمع،ويشكو الم الفراق، وكلما تذكر ذلك الظبي ارتجف قلبه واضطرب وهو في ساحات الوغى مع ليوثها لايرتجف٠٠٠ثم يخلص الى المديح:

يا صاحبيَّ بجرعاءِ الغوير قفا نجد لمن بان بالدمع الذي وكفا
ليستْ دموعاً من الأجفان سائلةً لكنها أنفسٌ ذابتْ بهم أسفا
ظبي لقلبي وجيفٌ عند رؤيته وفي صراع ليوث الحرب ما رجفا[٣]

وفي أحدى قصائد المدح يستفتحها بمقدمة غزلية عدتها عشرة أبياتٍ،يرجو فيها الوصال من الحبيب لأنّ مهجته امتلأت أسهماً ،وهذا الغرام لازمه فلا رحيل له،وهو قد فاق ما تحمله العشاق الكبار من أمثال مجنون ليلى وجميل بثينة، ويصل الى ذروة المبالغة، فيقول : كيف تُشعل النار في قلبي، وهذه السيول تفيض من عيوني ؟!:

---

(١)الديوان:٧٥

(٢)الديوان:٨١

(٣)الديوان:٩٥، وقريب منه في ص ١٦٢،أربعة أبيات أولها:

ظبي يحير في الملاحة، كلما كررت طرفي في بديع فنونه

عسى لي إلى وصل الحبيب وصولُ ففي مهجتي مثل النصول نصولُ

غرام له عندي غريمٌ ملازمٌ فليس له بعد الحلول رحيل

تحملتُ من عبء الصبابة ضعفَ ما تحمَّل قيسٌ في الهوى وجميل

يقل لعيني فيه كثر دموعها فلو بدم أبكي لقيل قليل

عجبت لقلبي كيف تُشعلُ نارُه على أنّ دمعي فاض منه سيولُ [١]

وله قصيدة في مدح أهل البيت عليهم السلام وقد عمل الشعراء مثلها: [٢]

خلَّصتُ من خدعاتِ الأعينِ النُجُلِ ونبتُ من تبعاتِ اللّهو والغزل

وقام عندي لومُ الخائنين –إذا خانوا الودادَ– مقامَ اللوم والعذلِ

فما بكيتُ لناسٍ استريح به من العناء ولم أضحك إلى أمل

إذا تناكر أفعال الرجال بها فحومة الحرب والمحراب تشهد لي

تراه يمزج الغزل بالفخر والاعتداد بالنفس،فهو قد تخلص من خداع تلك العيون النجلاء التي تسحر من ينظر اليها، ونأى بنفسه عن اللهو واللعب، فهو في شغل عن كل هذا بساحات القتال التي تشهد للرجال فيها، ويمضي يشبه القدود بالرماح وأسيل الخد بالأسل والوجوه السمراء بالرماح السمر: [٣]

وعفتُ ما في قدودِ السُمر إن خَطَرتْ من اعتدالٍ لما في السُمر من خَطل

وزرقة النصل في طرف القناة أبتْ أن يستبينَ بما بالطرف من كُحل

وكذلك يفعل في نصٍّ آخر،إذ هو القادر على ان يفرج الضيق والشدة في المعركة فتكون الغلبة له لكنه ضاقت به الحيل في الهوى فهو المغلوب، كل هذا من ذلك الطرف الفاتر، وردٌ حمته سهام العيون، ويكرر الكلام على الواشي والرقيب،مبرزاً شجاعته في الحرب وضعفه في ساحات الحب: [٤]

وفاتر الطرف في الخد الأسيل له وردٌ جنيٌّ حمته أسهم المقلِ

نهبتُه بفمي لثماً وقد غفلتْ عينُ الرقيب وكلّت ألسنُ العذل

---

(١)الديوان:١١٢

(٢) الديوان : ١١٥

(٣) الديوان: ١١٦

(٤) الديوان: ١٣٠

وخافَ أن يفطن الواشي بنا وبه فعاد يخلف ما قد منَّ بالخَجل

إن مالَ عني فقد مالَ النعيم وإن يمل إليّ أجده غاية الأمل

هابتْ سطاي ليوثُ الغابِ غاديةً ورحتُ من لحظات الظبي في وجل

وقريبٌ منه غزله الذي جعله مدخلا الى رثاء العترة الطاهرة عليهم السلام فالقد كغصن البان، وطعم الريق أحلى من الماء للعطشان، وللحب سطوة أقوى من شجاعة الفرسان، ويرمز للجمال بيوسف عليه السلام على عادة الشعراء في هذا الوصف، فهو يأتي بعد يوسف في الحسن :[1]

لولا قوامُك يا قضيبَ البان لم يحسن القضبانُ في الكثبان

ولو أنَّ ريقَك لم يذقْه ذائقٌ ما طابَ طعمُ الماء للعطشانِ

والحبُّ لا بالرأي ينجو هاربٌ منه ولا بشجاعة الشجعان

همنا بخصر كان لولا لينه ينقدّ تحت معاقد الهميان

وبسحر أجفان سرا فينا ولم نعلم كَسَري النوم في الأجفان

إن قال قد لاحتْ عَذاراه على وجناته وهما لنا غدران

أو كان يوسفُ أولاً في عصره لا في ملاحته فهذا الثاني

وهو في أكثر مشاهده الغزلية، يفضي الى الحديث عن شجاعته وسطوته،مبينا أثر الهوى وغلبته بل سطوته على تلك الشجاعة، فهو الآمر الناهي في الناس، لكنه في الهوى طوع يدَي المحبوب: [2]

الناسُ طوع يدي وأمري نافذٌ فيهم وقلبي الآن طوع يديه

فاعجبْ لسلطان يعد بعدله ويجور سلطان الغرام عليه

---

(١) الديوان: ١٤٣، وقريب منه في ص ١٤٨، وص ١٥٣

(٢) الديوان:١٧٤

المبحث الخامس: الفخر

كل إنسان يحب ذاته، ويراه أفضل من الغير، ولربما رأى عيوب الآخرين دون أن يرى عيوبه،فيعتد بنفسه أو قبيلته بما يرى من الصفات الكريمة والنبيلة، والشمائل الطيبة، والأصل النبيل، واعتزازه بتلك القيم، والفخر وهو من اخص صفات العرب، وأوسع الأبواب في أشعارهم' كونه يمثل تلك الأنفة وذلك الاعتداد بالنفس،" ولم يكن الفخر هدفا بحد ذاته، لكنه كان وسيلة لرسم صورة عن النفس ليخافها الأعداء، فتجعلهم يترددون طويلا قبل التعرض للشاعر أو القبيلة"[١]

وقد توزع الفخر في ديوان الشاعر على جانبين:

١- تمثل في ذكر شجاعته وهمته وبسالة جيشه وقواده وأسطوله، وبنسبه وأسرته من آل رُزّيك، ومن خلال انتمائه وولائه لآل البيت عليهم السلام ٠

٢- تمثل بالفخر والاعتداد بقصائده ٠

وفيما يخص الجانب الأول، فقد أخذ الحيز الأكبر من قصائد الفخر، وكانت أبيات الفخر ممزوجة بالمديح لآل البيت عليهم السلام أو في رثائهم أو في مراسلاته مع أسامة بن منقذ في أغلب ما مرّ في شعر الجهاد، وفي معظمها تغلب عليها نزعة الفارس المقاتل الذي لاتغره ملذاتُ هذه الدنيا الفانية، فهو يفضل ساحات الوغى على ساحة الأحبة وعتابهم، كما أنّ لمع السيوف في المعركة أحلى في عينه من مشهد البرق في الدجى،أمّا الكواعب الفاتنات لاتساوي عنده رؤية السيوف البيضاء التي علقت بقلبه،وعتوّ الريح وغبار المعارك، أفضل عنده من معاطف الفتيات ذوات المناكب الضخمة، من كل هذه المشاهد يخلص الى غرض المديح [٢] :

لذاذةُ سمعي في قراع الكتائب ألذُّ وأشهى من عتاب الحبايب

وأحسنُ في عيني من البرق في الدُّجى وميضُ المواضي في غبار المواكب

وبيضُ الضُبى أحلى بقلبي عَلاقةً لدى النهر من بيض الظباء الكواعب

أفضِّل عطفَ الريحِ في رَهج الوغى على معطف السُّمرِ الضِّخامِ المناكب

وقد مرّ في شعر الجهاد قوله:[٣]

توالت علينا في الكتائب والكتب بشائر من شرق البلاد ومن غرب

---

(١)الفخر في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت، ب. ت،

(٢)الديوان:٥٣

(٣)الديوان: ٥٨-٥٩

بشائر تهدي للموالي مسرةً وتحدث للباغين رعباً على رعب
ففي كبد من حرِّها النار تلتظي وفي كبد أحلى من البارد العذب
جعلنا جبالَ القدس فيها وقد جرت عليها عِتاق الخيل كالنَّفنفِ السُّهب
وقد روعتها خيلُنا قبلَ هذه مراراً وكانت قبلُ آمنة السرب
وأخفى صهيل الخيل أصوات أهلها فعاقتْ نواقيسَ الفرنج عن الضَّرب
وأبطال حربٍ من كتامةَ [١] دوخوا بلادَ الأعادي بالمسوّمة القُبِّ [٢]
وعادوا إلينا بالرؤوس على القنا وأغناهم كسبُ الثناء عن الكسب
وإنا بنو رُزّيك ما زال جارُنا يحلُّ لدينا بالكرامة والخصب
ونفتك بالأموال في السِّلم دائماً كما نحن بالأعداء نفتك في الحرب[٣]

بعد أن زُفّت البشرى بالانتصارات التي حققتها كتائب المسلمين على الصليبيين، قال مفتخراً واصفا ماحلَّ بالعدو من هزيمةٍ وكيف فعلت الخيل فعلتها بهم، وحملت رؤوس العدو على الرماح ٠٠٠٠ثم يؤكد زهد الجنود المسلمين في المال بعد أن كسبوا الأجر والثناء،ومن جاور بني رزّيك فانه يحظى بالخير والعطاء،وكما نفتك بالأعداء في ساحات الحرب كذلك نفعل بالأموال في السلم ٠

وفي قصيدته إلى أسامة التي بثه فيها أشواقه وحنينه الى عودته الى مصر ،فيخبره بكرمه وعطائه الذي لايجهله أسامة، وهو غيث سكوب لاينقطع، به يدرك المؤمل مايريد ويُغاث المكروب،ويشبه نفسه بالسحب وبريقها ورعدها فيها الترغيب والترهيب، وهي صفات الشجاع النبيل،في السلم خيرنا للناس وفي الحرب نشعلها فلا هوادة فيها، ونحن نفعل ما نقول ولسنا كغيرنا:[٤]

قد علمتم بأن غيث أيادينا على الناس بالنُّضار سكوب
وبنا يُدرك المؤمّلُ ما يرجوه قدماً وينقذ المكروب
نحن كالسحب بالبوارق والرعد لدينا الترغيب والترهيب
غيرُنا من يقول ما ليس يمضيه بفعلٍ وغيرُك المكذوب

---

(١) قبيلة مغربية قدمت مع الفاطميين الى مصر

(٢) المسومة: المعلّمة، القب: الضامر من الخيل

(٣) قريب منه قوله : كما أننا في السلم نبذل جودنا ويرتع في إنعامنا العبد والحرُّ، الديوان:٨١

(٤)الديوان:٦٢

وفي نصٍّ آخر يقرر أن الله تعالى ينصر من ينصره على الأعداء، وهي إشارة واضحة الى نفسه، ويذكر بطشه بمن حاول استغلال كرمه وحلمه فظنه جبنا، وأتبع ذلك بتهديد كل من أراد أن يكون مصيره مثله: (١)

أبى اللّه إلا أن يكون مؤيداً مدى الدهر منصور اليدين على العدا(٢)
وكم جاهل قد زاده الحلم عزة على غيره لما فسحت له المدى
فأوردته من راحتي مورد الندى ولما أسرَّ لبغدرَ أوردته الردى
رميت به سهماً مصيباً وأنه لدى الحرب ما زال القديم المسدّدا
فلا يغترزْ بي بعدها ذو جهالةٍ فليث الشّرى يُخشى وإن كان ملبِدا

وفي رثاء أهل البيت عليهم السلام، فهو صاحب لسان ينصرهم، كما هو صاحب السيف المعروف، يُهاب كما يزأر الأسد، على أيّ حال كان، لابساً درعه أم حاسراً،مسفرا وكاشفا عن وجهه ملثمّا، وقد أعاد للدين هيبته بعدما جدع أنفه (٣) :

إنّ لساني في نصرهم لكما يُهاب في حين يزأر السبع
فتارةً مسفرٌ وملتثمٌ وتارةً حاسرٌ ومدَّرع
كم من فؤادٍ وَغَرْتُه وأنا لا يعتريني بحاله فزع
أعدتُ للدين حسنه ولقد كان زماناً بأنفه جدع

ومن الصفات التي يفتخر بها الشاعر،الوفاء للأحبة والأصدقاء حتى على البعد، والعفو عن الذنب من المسيء، وعدم إذاعته، وتردنا الأنفة وتمنعنا من معاقبة من يستحق العقوبة، بعيدون عن التكبر ولانقول ما لانفعل، لكن وعيدنا في الحرب ناجزٌ، ووعدنا في الخير والكرم لايبطئ عن صاحبه، وعندنا من الخير والعطاء لكل من أراده: (٤)

---

(١)الديوان:٧٢

(٢) قريب منه قوله: أبى اللّه إلا أن يدين لنا الدهر ويخدمنا في ملكنا العز والنصر، الديوان:٨١

(٣)الديوان:٩١-٩٢

(٤)الديوان: ٩٩

إنا لنوفي على حال البعاد كما نوفي لمن ضَمّه في قربنا كنفُ
ونغفرُ الذنبَ إن رام المسيءُ بنا عفواً ونستره في حين ينكشف
وإن جنى من رأى أنا نعاقبه يردنا الصفح أو يعتاقنا الأنَفُ
نعم، ونحفظ عند الغيب صاحبنَا وليس يدركنا كبرٌ ولا صَلَف
فما لإيعادنا يوم الوغى ميل ولا لموعدنا يوم الندى خُلف
فعندنا جَنَّةٌ تدنو الثمارُ بها إذا دنا مجتنٍ منها ومقتطفُ

ومما يُؤْثَر له في الفخر أن يذكر اسمه (طلائع – طلايع – أولاد رزيّك – نجل رزيّك– آل رزيّك– ابن رزيّك...) في أكثر من مرة في الديوان، في الرثاء وفي المدح وغيرها، منها:

أنا ابنُ رزيك لا أقصر في الجلاد عن دينهم ولم أمل[١]
أنا ابنُ رزيك يزري ما أقول وان طال الزمان بما قد قال كلُ ولي[٢]
أنا ابنُ رزيك لا أبغي بهم بدلاً حتى أوسد في لحدي وفي كفني[٣]
انّي ابنُ رزيّك الذي بولائهم أسخنتُ عينَ معاند وجهول[٤]
وإنا بنو رُزَّيك ما زال جارُنا يحلُّ لدينا بالكرامة والخصب[٥]
أولادُ رُزَّيك لا فخرٌ كفخرهم حازوا المفاخرَ في الدنيا وهم نطف[٦]
إن ابن رزيك ذو قلب يواجهكم من الولاء بوجهٍ منه مقتبل[٧]

---

(١)الديوان : ١٢٤
لقد ضَفا لكم ثوبُ الولاء على طلائع فلربي الشكر حين ضفا[٨]
(٢)الديوان:١١٩

(٣)الديوان:١٤٨

(٤)الديوان:١١١

(٥)الديوان:٥٩

(٦)الديوان:١٠٢

(٧)الديوان:١٠٩

(٨) الديوان:٩٧

فقد وردت لفظة(رُزّيك) خمسَ عشرة مرة، في حين جاءت لفظة(طلائع) و(طلايع) مرة واحدة لكلتيهما، وعليه فانّه يفتخر بوالده وأسرته أكثر من نفسه، ما يدلّ على شرف الأسرة وشدة ولائها لآل البيت عليهم السلام :

وإنّي لَعبد المصطفى سيفُ دينه طلايعُ موسومٌ بهدي هداتي[١]

أمّا ما يتعلق بالجانب الآخر، وهو الفخر بقصائده،فهي قلائد ينظمها لمن يستحقها، تزين صدر الفتاة بما هو أحلى من الدّر:[٢]

فخذْ لبني رُزّيك المظفر مدحةً إذا أُنشِدَتْ أزرَتْ بدُرِّ الترائب[٣]

وهي عروس تتهادى بين الإنعام والوفاء كلاهما زيّناها تاجا وقرطا:[٤]

هَدياً تَهادى بين حسنِ وفائنا وإنعامنا ذا التاج زان وذا القرطُ

وفي إحدى قصائده التي مزج فيها مابين الدح والرثاء لآل البيت عليهم السلام، يسهب في إضفاء الإطراء على قصائده، فهي كالنجوم السائرة في الليل لايعتريها التعب والإعياء، وهي العروس في أحلى ما يزينها بناؤها يلهي العقول بها، ويصرفها عن الشمس في الخدر– يعني الفتاة– ويرسم صورة جميلة لأبياته، فكأنها قُبَلٌ على وجه ناصع البياض، تزينه شفة سمراء، حتى الإمارة لاتمنعه من كتابتها، فهو صاحب الرياسة والأدب السيف والقلم :[٥]

يصوغ فيكم رياضاً من مدائحه كالروض دبَّجه وشيُ الندى الخضل
مثل العرائس تجلى من ملابسها على المسامع في حلي من الحلل
بيضُ المعاني إذا آسودَّتْ مدارعُها فريها آمن من حمرة الخِجل
مثل النجوم تحث السيرَ وادعةً في كل أرضٍ ولا تعتاق بالكلل
تلهى العقول الرصينات البناء بها عن الشموس التي يغرين في الكلل

---

(١)الديوان:٦٨

(٢) الديوان:٥٥

(٣) ومثلها:١١٥، فخذ لهم من نجل رزيك مدحة تسير كما سارت صباً وقبول (ريح الصبا والقبول)

(٤) الديوان:٨٧

(٥) الديوان:١٠٩، ومثلها ص١١١: كم من عروسٍ في فمي أبرزتها فيهم حكت غيداء ذات حجول

وص١٢٥،ص١٧٢

كأنما في الخدود الناصعات جرى ماء اللّمى فاعتراه النهب بالقبل

بيضاء سوداء في حالٍ كأن بها على الحقيقة سرُّ الأعين النجل

وما الإمارةُ من نطقي بمانعةٍ السيفُ لي وأفانينُ البلاغة لي

فالمعاني والصور متكررة في الفخر بالقصائد، وليس هناك من جديد يخالف فيه من سبقه من الشعراء، فبقيت العقد الثمين يزين جيد الفتاة، وهي العروس والشمس ....لكنه يطلب بها الثناء والغفران والمثوبة، أو تأكيد قوة العلاقة مع الطرف الآخر، ولاسيّما صديقه الشاعر أسامة بن منقذ.

المبحث السادس:الحكمة والموعظة

الحكمة وليدة التجربة،نابعة من ممارسات حقيقية، تدعمها في الغالب ثقافة واسعة ولاسيّما في ثقافة الشاعر إذا كان يتكئ على خلفيات ثقافية وتجارب لشعراء سابقين.

ترد في الشعر غالبا في بيت أو بيتين أو أكثر من القصيدة، تتمثل في استعراض الأحداث والتجارب وأخذ العبر منها،" فإذا تأملنا حكمة جاهلية مثلا نجدها تصلح لكل العصور، كذلك اذا تأملنا حكمة أجنبية، نجدها تنطبق على كل المجتمعات،ذلك لأن الهدف منها إنساني يضرب الأمثال وينبه الإنسان وينير له طريقه ويدل على مافيه صلاح نفسه" [١]

تطالعنا أبيات الحكمة والموعظة بشكل قليل في ديوان الشاعر،الذي عاش (٦١)عاما،ربما لفقد أغلب أشعاره، أو بسبب انشغاله بأمور الدولة ولاسيّما في السنوات الأخيرة من حياته، فلم تتح له متنفسا ليبوح بما تكنه جوارحه مما مرّ به، فيصوغه نظما.

هذه الدنيا تغيّر كلَّ شيء، فلا الشبابُ يبقى ولا القوة والفتوة،ينام المرء وهو لايعلم أن الموت متربص به، وما هو عنه ببعيد، وكيف يبقى كنزٌ وأنت تنفق منه بلا حساب ؟! يقول:[٢]

يا مائساً فوق الثَّرى — رفقاً فسوف تصيرُ تحته
إن قلتَ إني أعرفُ الـ — مولى القديرَ فما عرفته
إن كنتَ تعبدُ للمخافة — والرجاء فما عبدتَه

أيّها المغرور المختال، رفقا بهذا التراب فقريبا ستكون تحته وتطلب منه الرحمة، وكأنه يحاكي أبا العلاء المعري في بيته الرائع:

خَفّفِ الوَطْء ما أظُنّ أدِيمَ الـ — أرْضِ إلاّ مِنْ هَذِهِ الأجْسادِ

وله يخاطب من جعل نفسه عرضةً للذنوب والآثام: [٣]

يا راكباً ظهرَ المعاصي — أوَ ما تخافُ من القصاصِ؟
أوَما ترى أسبابَ عمرك — في انتقاضٍ وانتقاصِ؟

([١])الحكمة في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت، ب. ت،٥

([٢])الديوان:٥٧

(٣) الديوان:٨٢

وكثيرا ما يردد كلمة الموت أو الهلاك أو الفناء، الحِمام....وربما كان آخر ماقاله قبيل اغتياله:

نحن في غفلةٍ ونومٍ وللمو ت عيونٌ يقظانةٌ لا تنام

قد رحلنا إلى الحِمام سنيناً ليت شعري متى يكون الحِمام؟[١]

وهو لاينسى قضيته الكبرى في المدح والرثاء، فأهل البيت معه في كل جوارحه حزناً وفرحاً، وهم خير مثال للفناء، فبهم يمكن أن يستصغر المرء كل مايراه من الأذى والعذاب،بل الفجيعة بفقد الأحبة:[٢]

يا دهرُ حسبُك ما فعلْتَ بنا أتراكَ تطلبُ عندنا إِحَنا[٣]

كم نتقيك بكلِ سابغةٍ[٤] وسهام كيدك تخرقُ الجُننا[٥]

ما تنفع الدرعُ الحصينةُ مَن عمّا قليل يلبس الكفنا

كلا، ولا الأيام تقبل عن أرواحنا رشوا ولا ثمنا

لو بالثّريا حلَّ معتَصِمٌ منها لكان له الثرى وطنا

ولقد يُهَوِّن ما أصابكم فقد (الحسين) الطهر و(الحسنا)

وبنيهم إذ طوّحتْ بهمُ أيدي زمانهم هنا وهنا

المبحث السابع:أغراض أخرى

وله مقطوعات قصيرة، أو أبيات متفرقة في موضوعات متعددة، بحسب ماوُجد من أشعاره كون الكثير منها قد فقد بعد دخول الأيوبيين مصر وماجرى منهم من محوهم الآثار الفاطمية٠

ومن هذه الموضوعات ما يسمى بـ (الإخوانيات): وهي نوع من المكاتبات الأدبية ورسائل تصور عواطف الشعراء والأدباء، ليس فيها تكسّب أو منفعة، وإنما تدفع اليها العواطف الصادقة بين

---

(١) الديوان:١٣٢

(٢) الديوان: ١٦٣

(٣) إِحَن:عداوة، بغضاء

(٤) سابغة: الدرع الطويلة

(٥) جمع جُنه: كل مايكون وقاء

الأصدقاء أو الأقارب من الشعراء، وفيه تبرز براعة الشاعر في تخير ألفاظه وصوره، وغالبا ما تكون في التهاني والتعازي والمسامرات وغيرها، فهو أدب الصداقة والصديق ٠
والإخوانيات شعر وجداني يمثل الأواصر الاجتماعية ويصورها في ميدان الأخوة والصداقة في مختلف أشكالها ومعانيها متضمنة صورا من المودة والإخاء والاعتذار والتهنئة والعتاب والشكوى".[١]

وأهم ما يلاحظ في شعر طلائع، مراسلاته مع صديقه الشاعر أسامة بن منقذ، التي كانت سجلا حافلا بالحقائق التاريخية، وكذلك أبرزتْ صدقَ المشاعر والمحبة فيما بينهما٠

المقالة VI. ومن أبياته في هذا الجانب، ماذكره زين الدين الواعظ: إن الصالح دفع إليه هذه الأبيات يوم صنع الدعوة لأخيه فارس المسلمين، فلم يبقَ بعدها لهم اجتماع في مسرة فقتل الصالح بعدها:[٢]

أنِسْتُ بكم دهراً فلما ظعنتمُ اسـ تقرت بقلبي وحشةٌ للتفرقِ
وأعجبُ شيءٍ أنني يومَ بينكم بقيتُ،وقلبي بين جنبَيَّ، ما بقي
أرى البعدَ ما بيني وبين أحبتي كبعد المدى ما بين غربٍ ومشرق
ألا جَدِّدِي يا نفسُ وجداً وحسرةً فهذا فراقٌ بعده ليس نلتقي

وفي سنة(٥٥١هـ) كتب الى الوزير أبي الكرام بعد رجوعه من مصر الى الشام: [٣]

أحبابَ قلبيَ، إن شطَّ المزارُ بكم فإنكم في صميم القلب سكانُ
وإن رجعتم إلى الأوطان إن لكم صُدورَنا عوضَ الأوطان أوطانُ
جاورتمُ غيرَنا لما نأتْ بكمُ دارٌ وأنتم لنا بالود جيرانُ
فكيف ننساكمُ يوماً لبعدكمُ عنّا وشخصكمُ للعين إنسانُ؟

والغرض الآخر الذي نجده في ديوانه،**الوصف**، وهو من الأغراض القديمة المتجددة، وأكثرها شيوعا، فهو يمتزج مع الأغراض الأخرى ويتداخل معها بشكل كبير،حتى قال عنه صاحب العمدة"

---

(١) شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية فنية: خالد شكر محمود، رسالة ماجستير، كلية التربية –جامعة بغداد، ٢٠٠٣ م، ٦٤.

(٢) الديوان:١٠٤

(٣) الديوان :١٦٣

الشعر الا أقله راجع الى باب الوصف، ولاسبيل الى حصره واستقصائه" [١]، تناوله معظم الشعراء، لكنهم يتفاوتون في تعاطيهم مع هذا الغرض، فمنهم من برع في وصف الطبيعة الحية والجامدة، ومنهم من برع في وصف الخمرة، وآخر في الصيد وغيره في الحروب، والطلل والمحبوبة وغيرها ٠

وكان طلائع كغيره من الشعراء، فقد تناول وصف الطبيعة وبخاصة الحية لكن هذا الغرض برز عند طلائع في شعر الحرب ووصف المعارك ضد الصليبيين،وبثّ هذا كثيرا في قصائده(رسائله) الى صديقه الشاعر أسامة بن منقذ، وقد مرّ الحديث عن المعارك ودوره مع جنوده وانتصاراته في البر والبحر كما برع في وصفها أسامة أيضا ٠

ومن أبياته يصف إحدى معاركه وانتصاراته على الصليبيين، بعثها الى أسامة: [٢]

وتخرق شرقَ الأرض والغرب خيلُنا عليها الشبابُ المرد والجلة الشُّمط

وظلماء للشهب الدراري إذا سرت هناك مع السارين في جنحها خبط

كما أول الفجرين سقط يسل من حشاها كذاك البوق في جوفها سقط

سللنا بها البيضَ السيوفَ فلاح في شباب الدجى لما بدا لمعها وخط

سيوفٌ لها في كل درعٍ وجُنةٍ اذا ما اعتلت قدُ أو اعترضت قطُ

تشق الخيل مشرق الأرض ومغربها نحو العدو، عليها الشباب اليافع الذي لم يكسُ الشعر وجهه، وكذا الشيبة الذين وخطهم الشيب،مع الطلوع ينقضون على عدوهم، لايرد سيوفهم درع ولا وقاء، إن اعتلت قدت الهام، وان اعترضت قطعت النصف،

وله يصف أبيات أسامة، ويثني عليه بعد انقطاع عنه:[٣]

آدابُــك الغــرُّ بحــرٌ مالــه طَــرفُ فــي كــلِّ ســمع بــدا مــن حســنه طُــرفُ

---

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت:٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١

(٢) الديوان:٨٦

(١) الديوان:٩٨، ومثلها: ص:١٦٤، وردت الينا منك مجد الدين بيضاء تخطر في الثياب الجون٠

وينظر: ص١٠٠، ١٢٩، ١٣٦-١٤٢، فيها وصف لمشاهد معاركه وبطولات جنده٠

نقــول لمــا أتانــا مــا بعثــتَ بــه ... هــذا كتــابٌ أتــى أم روضــةٌ أُنُــفُ
خــطٌ تنزهــتِ الأزهــارُ حــين بــدا ... كأنــه الــدُرُّ عنــه فــتَّحَ الصــدَفُ
رَقَّــت حواشــي كــلام أنــت ناظمــه ... فيــه، فجــاء كزهــر الــروض يُقتطَــفُ

الفصل الثالث

الصورة الشعرية وأنماطها

مهاد نظري:

الصورة الشعرية ركنٌ مهمٌ في النص الشعري، يستثمره الشاعر كي يخلق عالمه الشعري الخاص. فيقوم بتحويل الأشياء من العدم ليبث فيها الإحساس، مستعينا بالعلاقات اللغوية لإبداع معنى جديد، وبقدر ما يكون ماهراً في إخراج المفردة من معناها المعجمي إلى معنى أكثر رحبا وسعة، استطاع رسم صوره بشكل أفضل وتجسدت موهبته الشعرية وأصالته، والنص الشعري لاتنبض فيه الحياة من دون صور حية.

وبقدر التصاقها مع الألفاظ والمعاني فإنها تشكل بنية رائعة لأن " الأدب تقوم بنيته على ثلاثة عناصر متحدة: عنصر الألفاظ وعنصر المعاني وعنصر الصورة ..." [١].

وقد اهتم النقاد العرب القدماء بالصورة وتحديد مفهومها، من خلال الإشارات أو التلميحات العابرة، أو من خلال محاولة وضع تعريف يوحي بعمق الصورة وأثرها في العمل الأدبي،ولعل أقدم هذه الإشارات ماورد عن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) عندما قال: " فإنّما الشعر صناعة، وضرب من النسيج،وجنس من التصوير"[٢] وجاء بعد الجاحظ ابن الأثير وابن طباطبا وقدامة وأبو هلال العسكري وغيرهم ممن أسهموا في إثراء مفهوم الصورة، لكن أبرز من تعامل مع الصورة بمفهوم واضح هو عبد القاهر الجرجاني في كتابيه(أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز)، فقام بترسيخ مفهوم الدلالة الاصطلاحية للصورة " ومعلوم أنّ سبيل الكلام سبيل التصوير والصياغة، وأنّ سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه، كالفضة والذهب يصاغ منهما خاتم أو سوار...." [٣]، فلم يهمل عبد القاهر الأثر النفسي وأهميته في تشكيل الصورة؛فاستند في التحليل الى الخلق والإبداع الشعري وقوة تأثيره على الذوق والإحساس المرهف.

والصورة " هي مجموعة من الوسائل يحاول بها الأديب نقل فكرته وعاطفته معا الى قرائه أو سامعيه" [٤]، وأكثر اعتماد الصورة الشعرية على الخيال الذي يحول الأشياء من حالتها الجامدة الى أنماط متحركة ويبث فيها الحياة، وهو " يؤلف بين الأشياء المتباعدة أو يبث الحياة فيما لايعقل ويشترط أن تصور الحالة النفسية للشاعر بصدق " [٥]،" وهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر" [١].

---

(١) بناء الصورة الفنية في البيان العربي – موازنة وتطبيق –، د. كامل حسين البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١، ١٩٨٧م، ٤٠

(٢)الحيوان: الجاحظ، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار الكتاب العربي – بيروت، ١٩٦٩م، ٣/ ١٣٢.

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٥٤

(٤) أصول النقد الأدبي: ٢٤٢

(٥) تذوق النص الأدبي: د.سامي يوسف أبو زيد، دار المسرّة، الأردن، ط١، ٢,١٢، ١,١

كما إنها " الشكل الفني الذي تتخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بيانيّ خاص ليعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة، مستخدما طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة والتركيب والإيقاع والحقيقة والمجاز والترادف والتضاد والمقابلة والتجانس وغيرها من وسائل التعبير الفني، والألفاظ والعبارات هما مادة الشاعر الأولى التي يصوغ منها ذلك الشكل الفني أو يرسم بها صوره الشعرية " [٢]

فهي ألفاظ وعبارات ترمز الى المعنى وتجسم الفكرة، تتحكم فيها عدة عوامل، منها تجربة الشاعر، وبيئته، وأفكاره ونفسيته وعلاقاته الإنسانية، " وهي التي تنقل ما في النفس من خواطر ومشاعر بصدق، ودقة، وتبرزه للغير "[٣].

وصلاح فضل يقرأ الصورة بشكل آخر فيقول " هي الشكل البصري المتعين بمقدار ما هو المتخيل الذهني الذي تثيره العبارات اللغوية، بحيث أصبحت الصورة الشعرية مثلا تقف على نفس مستوى صورة الغلاف " [٤]، وهناك من يرى " أنها صورة حسية من كلمات، إستعارية إلى درجة ما، في سياقها نغمة خفيضة من العاطفة الإنسانية، ولكنها أيضا شحنت، منطلقة الى القارئ عاطفة شعرية خالصة أو انفعالا"[٥]

والصورة تمنح الشاعر شخصيته، مستعينا بما يملك من ثراء لغوي، فيكون كالرسام الماهر الذي ينتج عشرات اللوحات بريشة واحدة. " تتمثل أهمية الصورة –إذن– في الطريقة التي تفرض بها علينا نوعا من الانتباه للمعنى الذي تعرضه، وفي الطريقة التي تجعلنا نتفاعل مع ذلك المعنى، ونتأثر به " [٦].

والصورة الشعرية شاعت كثيرا في الشعر العربي منذ القدم وهي تعني " تشكيل لغوي نابع من المخيلة المبدعة تتفاوت عناصرها الحسية والمعنوية بحيث تكون العلاقات الداخلية بين هذه العناصر ذات صفات معنوية متسمة بالخبرة والابتكار"[٧]. وهي مهمة في تكوين النص حيث " إنّ مدار النص يتمحور حول ما يبدعه الشاعر من صور وعلاقات، وما يبذله من نشاط ذهني ونفسي

---

(١)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢، ٧

(٢)الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب، مصر، ط١، ١٩٨٨، ٣٩٢

(٣) في النقد الأدبي القديم عند العرب: د. مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، مكة للطباعة، مصر، ط١، ١٩٩٨، ١٥٦

(٤) قراءة الصورة وصور القراءة: د. صلاح فضل، دار الشروق، مصر، ط١، ١٩٩٧، ٥

(٥) الصورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١، ٣٢

(٦)الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٣٢٧–٣٢٨

(٧)الصورة المجازية في شعر المتنبي، خليل رشيد فالح، رسالة دكتوراه، كلية الآداب – جامعة بغداد، ١٩٨٥م، ٢٨.

متمثلا بما يحدثه من تغيير في صور الواقع وعلاقاته، ليخلق عالما جديدا هو في الحقيقة أكثر جمالا وإثارة من الواقع، وهنا تكمن عظمة الشاعر وموهبته الخلاّقة "[١]والصورة الشعرية البيانية تنشأ بشكل غير مباشر من علاقات المجاز المختلفة من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها. وسنوجز القول في كل واحدة منها:

المبحث الأول: الصورة التشبيهية:

صفة الشيء بما قاربه وشاكله، ومن جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه، ألا ترى أن قولهم " خدٌّ كالورد" إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه ..."[٢]، أو " هو عقد مماثلة بين

أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة ، أو أكثر، بأداة لغرض يقصده المتكلم" [٣]

واستخلص الدكتور عبد العزيز عتيق من مجموع التعريفات للبلاغين تعريفا يوحّد فيه الهدف " بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو مقدرة، تقرب بين المشبه والمشبه به في وجه الشبه" [٤]

وهو يجسّد من خلال صوره الحسية الأفكار ويجعلها كأنها تُرى،وهذا يعني أن للتشبيه أثراً مهما في تشكيل الصور الشعرية من حيث كونه من الوسائل البيانية المهمة التي تمد الشاعر بالصور الجميلة الرائعة التي تجعل من النص الشعري عذبا جميلا.

وكان لهذا الفن حضوره الواسع في شعر طلائع من خلال صوره المتعددة كالمرسل والمفصل والبليغ والتمثيل...نحاول هنا أن نذكر عينات منها ونحيل الى البقية خوف الإطالة.

---

(١)الشعرية العربية، أصولها ومفاهيمها واتجاهاتها: د. مسلم حسين حسب، ص: ٣٢٦- ٣٢٧،ط: ٢٠١٣، مطبعة ضفاف، السعودية.

(٢) العمدة: ٢٨٦/١

(٣) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: ٢٥٥

(٤) في البلاغة العربية، علم المعاني،البيان، البديع: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ط١، ب. ت، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها:الميداني،١٦١/٢، معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، دار المنارة، جدة، دار الرفاعي- الرياض، ط٣، ١٩٨٨،٢٩٦

قال في مدح آل البيت عليهم السلام:[1]

فآلُ أحمدَ فاقوا الناسَ أجمعَهم كما يفوق ثمينُ الجوهرِ الصَدفا

في هذا التشبيه وهو المرسل الذي تذكر فيه الأداة [2]، وظّف الشاعر(الكاف) كونها تقرب المشبه من المشبه به فيصار إلى تشبيه مرسل واغفل أيضا ذكر وجه الشبه ليلفت نظر السامع إلى إدراك أهمية الممدوح وعظمته، معززا ذلك الغرض بالفعل(فاق) الذي يمنح معاني السبق والريادة والتفوق، فكما أن أثمن ما في الصدف جوهره كذاك هم أهل البيت عليهم السلام فقد فاقوا الناس جميعا في كل الصفات والمحاسن .

ويعجب بأبيات أسامة ويثني عليها، ويصفها بالمطر الدائم الذي يروي عطش الصادي، ومن حسن جمالها تعشقتها القلوب وتفتتن بها العيون:[3]

حسناءُ تبرز في عرنينها شممُ من الجمال وفي أجفانها وطفُ

كأنّ أسماعنا لما أصخْنَ لها عجباً أتيح لها من حليها شنفُ

موسيقاها زيّنت وأمتعت الأسماع، وتجانس صدورها مع أعجازها وقد جعل عنايته بالألفاظ وابتكار المعاني في أجمل ما تكون عليه زينة وجرسا، ومما لاشك فيه إنّ صورة التشبيه المرسل قد أكسبت البيت وضوحاً في البيان ودقة في التعبير " فالقصيدة تحيا حالة الخلود والدوام لهذا تقدمت أداة التشبيه (كأنّ) في محاولة لشد انتباه المتلقي للصور التشبيهية التي تعيش في أعماقه إيحاءً بالسيطرة المطلقة على الأسماع "[4].

وفي صورة أخرى من صوره الكثيرة التي ذكر فيها الإمام الحسين عليه السلام يعمد الى التشبيه المفصل، وهو ماذُكر فيه وجه الشبه نفسه أو مايستلزمه [5]،فحاول ان يرسم صورة لتلك الأمة المتمردة من خلال تعامله مع طرفي التشبيه الحسيّين، فماجرى في كربلاء يشبه ما جرى في عاد.

في أمةٍ قد أشبهتْ عاداً كما قد شُبِّهتْ في بغيها بثمود

---

(١) الديوان:٩٦

(٢) ينظر: في البلاغة العربية:٢٧٤، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٧٣/٢

(٣) الديوان: ١,١

(٤) شعر طلائع بن رزيك: دراسة بلاغية: زمان عطا نجم اللامي، جامعة القادسية، ٢..٦، ٦٧

(٥) جواهر البلاغة:٢٧١، في البلاغة العربية:٢٨٣، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة:١٦٨

فإذا تذكرتُ الشهيد فمقلتي لا تنطوي إلا على التسهيد

وكان لتكرار فعل التشبيه (شبه) وقعه في التعبير عن حالات متعددة وصور مختلفة وتحقيق، الاختصار[١].

ومن قصائده المرسلة الى أسامة:[٢]

نحن كالسُّحب بالبوارق والرعدِ لدينا الترغيبُ والترهيبُ

تارةً نسعرُ الحروبَ على الناس وطوراً بالمكرماتِ نصوبُ

يشبه الشاعر نفسه بالسحب التي تحمل معها الخير والعطاء مع المطر، وكذلك هي مصدر ترهيب كما هي للترغيب،وبيان ذلك في البيت الثاني عندما يكون شديدا مع الناس وأحيانا يغدق عليهم، وهو لم يتعب القارئ/ السامع في إيجاد وجه الشبه فذكره، وكان للمقابلة وقعها في جمالية التشبيه في (نسعر– نصوب).

ويستعمل التشبيه البليغ – وهو ماحُذف وجهه وأداته– أيضا مع أسامة:[٣]

آدابُك الغُرُّ بحرٌ مالهُ طرفُ في كلِ سمعٍ بدا من حسنه طُرفُ

نقول لما أتانا ما بعثتَ به هذا كتابٌ أتى أم روضةٌ أُنُفُ؟

فهو يبالغ في حبه لصديقه، فأخلاقه كالبحر الذي لاحدود له، حتى بلغت هذه الآداب الآفاق ومهما وصلها من محاسنه فهو جزء يسير منها، أحسن الشاعر استخدام التشبيه بحذف الأداة فجعل المشبه متحدا مع المشبه به، مع حذف الوجه الذي يعضّد اندماج طرفي التشبيه في جسد واحد.

ويرد البليغ عنده أيضا في صورة أخرى يرسمها لنفسه مدافعا بيده ولسانه عن أهل البيت عليهم السلام فجعل لسانه الحاد المدافع عنهم كالسيف القاطع:[٤]

لساني رطبٌ بالثناء عليهم وفي ظالميهم فهو عضبُ المضاربِ

فتراه قد جمع بين صورتين متضادتين–وهو كثير عنده– فهو رطب بالثناء، لكنه عضب على الأعداء، وقد أفاد من التناغم بين (رطب، عضب) من أجل رسم الصورة بشكل يعطيها البعد المرجو بعد حذف الوجه والأداة.

---

(١) الديوان: ٧٥

(٢)الديوان: ٦٢

(٣)الديوان: ٩٨

(٤) الديوان: ٥٤

أمّا تشبيه التمثيل الذي عرفه أهل البلاغة بأنه " التشبيه الذي يكون على شكل لوحة تُصوّرُ أكثر من مفرد، ووجه الشبه فيه لايكون مأخوذا من مفرد بعينه، بل يكون مأخوذا منه ومن غيره، أو من الصورة عامة" [١] .

ومن أمثلته في شعر طلائع: [٢]

يصوغُ فيكم رياضاً من مدائِحه كالرَّوض دبَّجَه وشيُ الندى الخَضل

مثل العرائس تجلى من ملابسها على المسامع في حَلي من الحلل

بيضُ المعاني إذا آسوَدَّت مدارعُها فربُها آمنٌ من حمرةِ الخجل

تتكاثف الصور وهو يمدح آل البيت عليهم السلام، مفتخرا بقصائده التي تشبه الرياض في حسنها وجمالها، فقد وظف مظاهر الطبيعة بما يخدم غرضه، ويضفي على القصيدة مزيداً من الإبداع في التجسيد والتصوير ،فصورة القصائد التي يمدحهم بها وما فيها من جمال ورونق يشبه صورة الرياض جمال الرياض التي زينها سقوط الندى وكأنها نقشت بشكل رائع، بجامع الجمال بينهما وميل النفوس إليهما، وفي البيت استعارة تصريحية اذ شبّه القصائد بالرياض واستعار اللفظ الدال على المشبه للمشبه به وبقرينة الفعل (يصوغ)، وفي البيت الثاني يشبّه القصائد بالعرائس ويفعل كما في الأول....والقرينة (تجلى)، وفي الثالث فهي ناصعة البياض تشهد لصاحبها بالقدرة والدربة، وقد ورد التشبيه في الديوان وبأشكاله المتنوعة في أكثر من مكان ولا مجال لاستقصائها كلها في البحث [٣].

ومن التشبيه الضمني وهو" تشبيه لايوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلمحان في التركيب " [٤]، جاء قوله:[٥]

أنهبتُ من يرجو ندى كفيّ ما أنهبت خيلي من ذوي التيجان

---

(١)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ١٨٦/٢، نظر: مدخل الى البلاغة العربية: ١٥٤

(٢) الديوان: ١,٩

(٣) ينظر صور التشبيه في الديوان: ٥١،٥٤، ٥٨، ٥٩،٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٠، ٧١، ٧٣،٧٨،٧٥، ٧٩،٨١، ٨٢ ، ٨٤ ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩١، ٩٦، ٩٨، ٩٩، ١٠٠،١١، ١,٢،١,٤،١,٩، ١١١، ١١٧،١١٤، ١٢٥،١٢٧،١٥٧،١٣٦، ١٥٨، ١٧٢.

(٤) ينظر: جواهر البلاغة:٢٨٥، في البلاغة العربية: ٢٩٥

(٥) الديوان: ١٤٣

وجعلتُ ملكي دون ملكي جنة يحميه حدّ نوائب الحدثانِ

المال هو جُنة يحمي به نفسه وملكه، فهو يهب لمن يرجو نداه كل ما تأخذه خيله من الملوك الذين أنتصر عليهم، رسم الشاعر الصورة بشكل إيحائي جميل من خلال الفعل(انهب) المكرر في البيت الأول الذي جانس المعنى في الشطرين، معلنا زهو الشاعر بنفسه وقدرته في الانتصار وفي البيان أيضا.

وقد استعمل الشاعر أدوات التشبيه (الكاف –كأنّ– مثل– شبه) و تبين من خلال تعداد هذه الأدوات وحصرها أن الأداة(الكاف) كانت أكثرها تفضيلا لدى الشاعر فذكرها أكثر من (٥٢) مرة، والسبب في تفضيله لها كونها تلائم التشبيهات القصيرة وتعبر عن المعاني بأقصر الطرق وأسرعها وتنأى عن الإسهاب والإطالة، كما تمكن الشاعر من حشد أكبر قدر من المعاني بعبارات فنية مختصرة، وجاءت (كأنّ) بعدها وقد وردت (٣١) مرة، وهي تفيد التوكيد فضلا عن كونها تعطي الشاعر قدرة على استيعاب تفاصيل صوره الشعرية وتعينه على الشرح والإطالة بحيث تفصح عن رؤاه وتترجم انفعالاته، وجاءت (مثل ومشتقاتها) (١١) مرة، و(شبه) مرتين.

وجد الشاعر في التشبيه سعة ليرسم تلك الصور الجميلة في المدح والرثاء والعلائق الوشيجة بينه وبين أسامة التي طالما أضفى على قصائده بأروع التشبيهات، معبرا في كل ذلك عن رؤيته الأدبية مشيراً الى سعة ثقافته السياسية والفكرية وتمكنه من أدواته الفنية.

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية:

"الاستعارة أفضل المجاز، وأول أبواب البديع، وليس في حَلي الشعر أعجب منها، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها، ونزلت موضعها ٠٠٠" [١] أو هي " : اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الأصلي، كأسد في قولنا: رأيت أسداً يرمي ٠٠٠ وقال بعضهم: حقيقة الاستعارة، أن تستعار الكلمة من شيء معروف بها إلى شيء لم يعرف بها، وحكمة ذلك إظهار الخفي، أو إيضاح الظاهر الذي ليس بجلي، أو حصول المبالغة أو المجموع ٠٠٠" [٢] ،أوهي "نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي

---

(١) العمدة:١/٢٦٨-٢٦٩

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ١/٢٤٣

يبرز فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة المصيبة تتضّمن ما لا تتضمنه الحقيقة، من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالا" [١]

وقد بيّن حدّها عبد القاهر الجرجاني " أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالشيء وتظهره وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه، تريد أن تقول: رأيت رجلا هو كالأسد في شجاعته وقوة بطشه سواء، فتدع ذلك وتقول: "رأيت أسداً" " [٢]

إذاً، هي استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي والفرعي، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي [٣] وقد صار ينظر إليها كعلاقة لغوية قائمة على المقارنة كما في التشبيه [٤]، فالاستعارة هي تشبيه بليغ حُذف أحد طرفيه.

وهناك النظرية التفاعلية التي تؤكد " أن الاستعارة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة، وهي تحصل من التفاعل أو التوتر بين بؤرة المجاز، والإطار المحيط بها، وتبين هذه النظرية أن للاستعارة هدفا جماليا، وتشخيصيا، وتجسيديا، وتخييليا، وعاطفيا" [٥]

وتعد الاستعارة ركنا أساسيا من أركان الصورة الشعرية، لأنها تعبر عن الأشياء بصورة غير مباشرة، وهذا الفن البياني من أكثر ضروب التصوير تداولا عند الشعراء فضلا عن ألوانه المختلفة وكلما أبحرت في عالم الخيال كلما ازداد التفكر والإثارة فيها، وقد أفاد طلائع من توظيف الاستعارة وبشكل واسع لخدمة غرضه المناسب ليصل إلى هدفه الذي يريده وذلك بوساطة الاستعارة،ولها تقسيمات كثيرة من حيث الأركان المكونة لها أو التي تؤثر فيها، فلايسع المجال هنا للخوض في تفصيلاتها ولكن نذكر مجموعة من ابرز أنواعها وهما (التصريحية والمكنية) من حيث ذكر المشبه أو المشبه به فقط في الكلام.

الاستعارة التصريحية:

هي ماصُرِّح فيها بلفظ المشبه به،أو ما استعير فيها لفظ المشبه به للمشبه، ومن استعاراته التصريحية ماورد في الغزل:[١]

---

(١) الصناعتين: الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ٢٤٠.

(٢) دلائل الإعجاز: ٦٧

(٣) ينظر: جواهر البلاغة:٣١٥، دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة: ٢,٤، في البلاغة العربية: ٣٧٦

(٤) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢,١

(٥) الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: د. يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٧، ٨

ومهفهـــفٍ ثمـــلِ القـــوامِ سَـــرَتْ الـــى أعطافـــهِ النشـــواتُ مـــن عينيـــه

ماضـــي اللحـــاظ كأنّمـــا ســـلّت يـــدي ســـيفي غـــداة الـــروع مـــن جفنيـــه

شبّه الفتاة دقيقة الخصر، وهي تتمايل في مشيتها بمن أخذ منه الشراب مأخذه فغدا يتمايل فكلاهما غير مستقر في مشيته، وهو الجامع بينهما، فاستعار اللفظ الدال على المشبه به الى المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، التبعية لأن اللفظ المستعار مشتق، ثم شبه نظرات العيون وفتكها بمن ينظر إليها بمن سلّ سيفه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية أيضا، فجمع في البيتين نوعا واحدا من الاستعارة فالصورة تعبر عن فيض من شعور رقيق وإعجاب كبير يتماشيان مع رغبة الشاعر من تصوير جميل لايخلو من الإثارة والمتعة وخصوبة الخيال.

وفي قصيدته التي حاكى بها قصيدة دعبل، ترد الاستعارة التصريحية: [٢]

عرضتُ رياضاً حاكَها صوبُ خاطري لكي ترتعَ الأسماعُ في نغماتي

فقد شبّه قصائده التي أبدعها خاطره بالرياض الجميلة بجامع الجمال والروعة في الكل، والقرينة لفظة(عرضت)، ويرفده بأنّ الأسماع ترتع في النغمات الجميلة لهذه القصائد كما ترتع العيون وتستمتع بجمال الرياض. وهناك أمثلة أخرى في الديوان[٣].

الاستعارة المكنية:

" وهي ما حذف فيها المشبه به أو المستعار منه، ورمز له بشيء من لوازمه"[٤]ومن استعارات الشاعر:[٥]

---

(١) الديوان: ١٧٤

(٢) الديوان: ٦٨

(٣) ينظر صور أخرى للاستعارة التصريحية في الديوان: ٥٧، ٦٣، ١,١، ١,٤، ١١٣، ١٥٦، وغيرها.

(٤) في البلاغة العربية: ٣٧٣

(٥) الديوان: ١٥٨

ولأن بكـــتْ تلـــك الربـــى فمـــن العيـــون لهـــاعيونُ

نِعْـــمَ المعـــينُ علـــى تتـــابع دمعهـــا المـــاءُ المعـــينُ

شبَّه الرُّبى بشخص يبكي، ثم حذف المشبه به وجاء بشيء من لوازمه وهو (بكت) وهي قد أفرزت من عيونها عيونا أكثر بكاءً في لوعتها على جلل المصاب،لأنه في معرض رثاء آل البيت عليهم السلام فخلع الشاعر على الرّبى صفة إنسانية (البكاء) يقابلها إسناد (الإعانة) للماء، مكوناً الصورة الاستعارية المكنية الثانية المكملة باستخدام التشخيص الذي بث الحركة والحياة فيهما ليصلا إلى الغاية التي يرمي إليها ، وكان للجناس التام (عيون، عيون) و (معين ومعين) دوره الرائع، فقد شكل مع الاستعارة صورا ذات دلالات مشوقة للخيال الفكري.

ومن صوره الأخرى في الاستعارة، في رثاء العترة الطاهرة: (١)

لسانيَ الصارمُ في نصرِهم يقرعُ هاماتِ الشياطين

في الشطر الأول صورة تقليدية وجدها الشاعر في التراث العربي،اذ شبه لسانه بالسيف الصارم، لأنه يرى أنّ للكلمة وقعا أحدّ من السيف وأشدّ مضاءً، ورفد هذه الصورة التقليدية بأخرى بعثت فيها جواً من الجدة، فجعلت من غير المألوف مألوفا، وألبسته البعد الحسي وان لم يكُ كذلك.

ومن أمثلة استعاراته مع أسامة قوله: (٢)

تُجيلُ فكرَك في روض العقول، فلا تزال تختارُ ما تجني، وتقتطفُ

بعثتَ منها هَدِيَّاً في الورى جُلِيَتْ فالحسنُ وقفٌ عليها ليس ينصرفُ

منح الجامد صفاتِ الحي وأحال المعنوي الى المحسوس، معتمداً التشخيص بشكل جميل، فأسامة يتجول مابين العقول ويختار منها مايشاء، فهو يجني ويقتطف منها، كما يفعل في الأزهار والثمار في الرياض، هذه الثمار – القصائد– يغلفها ويزينها بأجمل المعاني ويهديها لمن يحب، فهي وقف عليه، وطلائع بقدرته على التصوير هنا، ربما كسر أفق التوقع عند المتلقي، فجعل الصورة مسرحا واسعاً للخيال من خلال الاستعارة.(٣)

---

(١) الديوان: ١٤٩

(٢)الديوان: ١٠٠

(٣) ينظر صور الاستعارة المكنية في الديوان: ٨٦، ٨٩، ٩٢، ٩٦، ١,٢، ١,٨ وغيرها

المبحث الثالث: الصورة الكنائية:

هي " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردْفُه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: " هو طويل النجاد"، يريدون طويل القامة "[١]، " أما ابن الأثير فقد خالف الكثير في تعريفها فقال: " فحدّ الكناية الجامع لها هو أنها كل لفظة دلت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بين الحقيقة والمجاز" [٢]، وجعله قدامة في باب الإرداف، فالشاعر لايأتي باللفظ الدال على المعنى مباشرة، وإنما يأتي بلفظ يدل على معنى هو ردفه وتابع له [٣]، وتتماز الكناية الى جانب فائدتها البيانية أنها تستبعد الألفاظ المستقبحة التي تسبب الحرج لقائليها، فهي من الأساليب التي يستعملها الأديب ليتحاشى الألفاظ التي تمجها الأذواق وتأنف منها الأسماع.
والكناية تكون عن (صفة– موصوف– نسبة)، وقد وردت كلها في شعر طلائع، ومنها قوله كناية عن الصفة في الغزل: [٤]

مهفهفُ القدِ أخشى من لطافته أن يخجلَ الغصنُ منه حينَ يشهده

كنّى عن البطن الضامر و الخصر الدقيق بـ (مهفهف)، ومع هذه الصفات التي تميزه باللطافة والانشراح مما ولّد الخوف في نفس الشاعر أن يؤدي إلى الأضرار بالغصن الرطيب، بدافع التضامن معه، فالسياق يومئ بعلو منزلة الممدوح، وإبراز صفة من صفاته، ومن كناياته التي كنّى بها عن الموصوف، ماجاء في مدح الإمام عليّ عليه السلام:[٥]

ما حاد عن حبِّ البطينِ الأنزعِ متجنباً لولائه إلاّ دعيّ

عرف الإمام عليّ عليه السلام بأنه (البطين الأنزع) كما ورد في كتب التاريخ والأدب، فيقرر الشاعر ولاءه وثباته على حبه وسلك طريقه منطلقا من الحديث النبوي" ياعلي لايحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق"ومما يمثل كناية النسبة التي فيها تخصص الصفة بالموصوف، قوله:[٦]

---

(١) دلائل الإعجاز: ٦٦

(٢) المثل السائر: ٥٢/٣

(٣) ينظر: نقد الشعر:١٥٧

(٤) الديوان: ٧٣

(٥)الديوان: ٨٨

(٦)الديوان:٨٩

مـــن كـــان قيـــداً للنـــواظر وجهُـــه وكلامُـــه قـــد كـــان قيـــدَ المســـمَع
ربُّ الشـــــجاعة والنـــــدى والعلـــــم والتقـــوى وزيـــن للســـجود الركَّـــع
لا يرهـــبُ البـــيضَ الصِّـــفاح كغيـــره حينـــا ولا دعـــس الرمـــاح الشُّـــرّع

إنَّ العيونَ مقيدةٌ في نظرها إلى وجهه الكريم، ولاتملك الأسماع أن تحيد عن كلماته، فكلها قد قيدت بالنظر وبالاستماع إليه، هذه الصورة الكنائية أردفتها أخرى التي تلاحقت فيها الصفات المنسوبة إلى ممدوحهﷺ (ربُّ الشجاعة والندى والتقوى وزين السجود وزين الركوع)

يتبين أنّ طلائع قد وظّف الكناية التي هي أبلغ من التصريح، للمبالغة ولبيان المراد بألطف التعبيرات، وعمد الى الصفة والموصوف والنسبة فاستوفاها.[١]

المبحث الرابع: الصورة المجازية:

المجاز من الوسائل المهمة في الشعر، فهو يثري اللغة ويبعد الرتابة عنها، كما أنه يحفز ذهن المتلقي،" والمجاز في كثير من الكلام أبلغُ من الحقيقة، وأحسنُ موقعاً في القلوب والأسماع، وماعدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل، فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز.." [٢] وهو ما أريد به غير المعن الموضوع له في أصل اللغة كما قال ابن رشيق [٣].

وهو عند عبد القاهر الجرجاني استعارة، " والقول في المجاز هو القول في الاستعارة لأنه ليس هو بشيء غيرِها، وإنّما الفرقُ انّ المجازَ أعمُّ، من حيث انّ كلَّ استعارةٍ مجازٌ وليس كلُّ مجازٍ استعارةً " [٤]، ويخالف الغذّامي أغلب آراء البلاغيين فيقول:" المجاز قيمة ثقافية، وليس قيمة بلاغية / جمالية كما هو ظاهر الأمر، ولقد سيطر التصور البلاغي على مفهوم المجاز وعلى فعله..." [٥]

---

(١) ينظر الكناية في الديوان: ٥١، ٥٢، ٥٤، ٧٣، ٧٤، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٩٦، ١,٥، ١١٢ وغيرها.

(٢) المثل السائر:١/٨٤

(٣) العمدة:١/ ٢٦٦

(٤) دلائل الإعجاز: ٤٦٢

(٥)النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٣/٢٠٠٥، ٦٧

ويقسّمه علماء البلاغة إلى قسمين (مجاز عقلي – مجاز لغوي) ويقسّم المجاز اللغوي إلى (مجاز مرسل – استعارة) ولكل منهما علاقات كثيرة لا يسع المجال للخوض فيها، نذكر مجموعة من صور المجاز في شعر طلائع.

ففي معرض رثاء أبطال كربلاء، يرد المجاز المرسل:[١]

وسالَ من الصخر غيضاً لهم دمٌ فاضَ لم يُجره منصلُ

إنّ الصخور فاضت غيضا لما شاهدته في الطَّف، وتفجّرت الماً وسالت الدماءُ من غير كَلِمٍ بسيف، فقد أطلق الشاعر الغيض على الدم وهو مجاز مرسل علاقته المحلية، لأن الغيض لايسيل إنما يسيل الدم.

وكثيراً ما تتكرر الصورة المجازية عنده في وصف المعارك وهو يرسم حركة الجند وانتصاراتهم في البر والبحر: [٢]

ألا هكذا في الله تمضي العزائمُ وتمضي لدى الحرب السيوفُ الصوارمُ

أسند الفعل(تمضي)إلى فاعله (العزائم) و(تمضي) إلى السيوف والمعلوم أنّ العزائم لاتمشي والسيوف لاتمضي وإنما يمضي الجند وهم يحملون السيوف، ولكن لما كانت العزائم سبباً في المضي والسيوف سببا آخر في المشي الى الحرب والاشتراك، فالعلاقة سببية في المجاز المرسل.

وقوله أيضا [٣]

قصدتُ بهم بين المسالكِ مطلباً فما خبتُ لكنّي بلغتُ مطالبي

بهم تبلغُ الآمالُ من كلِ آملٍ بهم تقبلُ التوباتُ من كلِ تائب

هو واثق من ممدوحيه عليهم السلام فما خاب قصده لهم في كل مسلك، وبهم يبلغ ما يريد من آمال وبهم عند الله تعالى تقبل التوبات من التائبين، فقد أسند بلوغ الآمال إليها– الآمال– وكذلك التوبات، فهنا المجاز عقلي وعلاقته السببية لأنها سبب لبلوغ الآمال.[٤]

---

(١) الديوان: ١٢.

(٢) الديوان: ١٣٥

(٣) الديوان: ٥٣–٥٤

(٤) ينظر صور المجاز في الديوان: ٥٤، ٥٨–٥٩، ٦٢، ٧٢، ٧٥، ٩٢، ١,١، ١,٢، ١٤٩–١٥٠، ١٥١وغيرها.

المبحث الخامس: الاقتباس والتضمين:

بلا شك انّ توظيف التراث يعتمد على خلفية الأديب الثقافية وسعة اطلاعه، ونحن نطلق على كل كلام اقتُصَّ من مكانه وأخذ من قائله تضمينا واقتباسا، وقد اختص الاقتباس بالقران الكريم والحديث النبوي الشريف، " لأننا نضمِّن أنواراً من كلام الله تعالى وكلام رسوله فالقبس هو الشعلة من النار والشعلة يُهتدى بها في الظلمات وهكذا هو القرآن الكريم والحديث الشريف أنوارُ شُعلٍ يُهتدى بها في الظلمات أما كلام الآخرين فلسنا متفقين على أنه نور لأن فيه الغث والسمين" (١)، أو " الأخذ والاستفادة، وقد عرف هذا الفن منذ عهد مبكر وكانوا يسمون الخطبة التي لاتوشَّح بالقرآن بتراء" (٢)

وقديماً كان النقاد يحرصون على أن يكون الشاعر وغيره من الأدباء ملمّاً بالثقافة وألوانها المتنوعة (٣)، لأنها هي التي تمكنه من السيطرة على أدواته وتجعله يغترف من مخزونه اللغوي والتاريخي والديني، فيستلهم الأحداث والشخصيات وبقدر ثقافته وتمكنه تبرز قوة توظيفه للتراث واقتباسه من القران الكريم والحديث الشريف.

إنّ الإنسان عموما والشاعر بشكل خاص يختزن في ذاكرته ما مر به من صور وأحداث، وهذه لابد وان تظهر بشكل أو بآخر في نتاجه الفني، وبقدر تصرفه وصياغته لها وإحكام صنعته يكون الحكم له أو عليه.

وطلائع كغيره من الشعراء الذين استمدوا الكثير من ألفاظ القرآن الكريم فأداروها في أشعارهم يرصّعون بها لغة الشعر مستفيدين من جمالها اللغوي وطاقاتها التعبيرية، وشحناتها الإيحائية، يتناولون هذه الألفاظ بنصها حينا ويحورونها تحويرا يسيرا لا يبعدها عن أصلها الكريم أحيانا أخرى، لتظهر روعة النص ويضفي الجمالية عليه، فهو يغني لغته الشعرية بلغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

---

(١) البلاغة والنقد: علي حسن هذيلي، مكتبة سفينة النجاة، العراق، ميسان، ط١، ٢٠٠٦، ٥٠

(٢) معجم النقد العربي القديم: د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١، ١٩٨٩، ١/ ٢,٤

(٣) ينظر في ذلك: عيار الشعر: ١.

الاقتباس من القران الكريم:

مرّ بنا في الصفحات الأولى إنّ طلائع حفظ القران وأتقن علوم الدين واللغة والأدب وانه كان شديد الحب للمطالعة حريصا على إعداد نفسه وتثقيفها، وهذا ماظهر في شعره ولاسيّما توظيفه للموروث الديني بشكل عام ؛ وخصّ كثيرا معتقداته المذهبية في ذلك، بيد أنّ النص القرآني كان أوفرَ حظا فيما وُجِد وجُمِعَ من شعره، فنراه يستحضر النص القرآني ولايتصرف به إلا بشيء بسيط وأحيانا يستوحي منه مايريد ويضعه بقالب جديد محافظا على الفكرة والجو العام،

ومن ذلك قوله: (١)

قــل للفقيــه عمــارةٍ يــا خيــرَ مــن أضــحى يؤلِّــف خطبــة وخطابــا

إقبــلْ نصــيحة مــن دعــاك إلــى الهــدى قــلْ حطَّــة وادخــل إلينــا البابــا

أرسل خمسة أبيات إلى الشاعر الفقيه عمارة اليمني، يرغبه في المذهب الشيعي الذي وصفه بـ(الهدى) والنص مستوحى من قصة بني إسرائيل مع نبي الله موسى عليه السلام وذلك في البيت الثاني في قوله (قل حطة)، فهو يرى أن عمارة في تيه وضلال مادام على غير المذهب الشيعي، فعرض عليه مايريد بإغرائه من خلال النصح والإرشاد فكانت أفعال الأمر موحية بذلك من خلال التماس الشاعر أن يتمسك بصديقه الشاعر أيضا، فهو ينصحه (اقبل نصيحة من دعاك)،

وهذا المعنى قد أخذه من الآية الكريمة :" وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ " (٢)

ويأتي إلى سورة الإنسان، فيقتبس منها جزءً من آية في قوله:(٣)

ياأيُّهــا الإنســانُ إن تــكُ جــاهلاً فاســأل بهــم(هــل أتــى علــى الإنســان)

أو يشير إلى بداية الآية فقط دلالة على المحتوى الواضح لها، كما في قوله: (٤)

ألــيسَ فــي(هــل أتــى) مايســتدلُّ بــه مــن كــان لايتعــدى واضــحَ الســنن

---

(١) الديوان: ٥٨

(٢) سورة البقرة: آية ٥٨، وقريب منها الآية ١٦١ من سورة الأعراف" وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَـٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ"

(٣) الديوان:١٤٤

(٤)الديوان: ١٤٦، ومثله ١,٧:في هل أتى بين الرحمن رتبته فتمسك يا أخي بـ(هل).

ويستمر في اقتباسه من هذه السورة في أماكن متفرقة من الديوان، كما في قوله:[1]

إذ أطعمـــوا المســـكينَ ثمـــة أطعمـــوا الطفـــلَ اليتـــيمَ وأطعمـــوا المأســـورا

كرر الفعل (أطعموا) مع الفئات الثلاثة، إشارة إلى كرمهم وإيثارهم لهم على أنفسهم مع حاجتهم للطعام، وتأكيداً لفعل الإطعام وأهميته، مع مراعاة التسلسل القرآني في الفئات.

لكنه يقتبس النصّ بالكامل من سورة الإنسان فيجعل الأبيات كلها من هذه السورة المباركة لايزيد عليها إلاّ حرفا أو كلمة، كما في قوله:[2]

إن الأبـــــرارَ يشـــــربون بكـــــأسٍ كـــــان حقـــــاً مزاجُهـــــا كـــــافورا
ولهـــــم أنشـــــأ المهـــــيمن عينـــــاً فجّروهـــــا عبـــــاده تفجيـــــرا
وهـــــداهم وقـــــال: يوفـــــون بالنَـــــذ ر فمـــــن مـــــثلهم يـــــوفي النـــــذورا
ويخـــــافون بعـــــد ذلـــــك يومـــــاً هـــــائلاً كـــــان شـــــرُّه مســـــتطيرا
يطعمـــــون الطعـــــامَ ذا اليـــــتمَ والمســـــكينَ فـــــي حـــــبِّ ربِّهـــــم والأســـــيرا
إنمـــــا نطعـــــم الطعـــــامَ لوجـــــه اللّـــــه لا نبتغـــــي لـــــديكم شـــــكورا
غيـــرَ إنـــا نخـــافُ مـــن ربنـــا يومـــاً عبوســـــاً عصبصـــــباً قمطريـــــرا
فوقـــــاهم الهُهـــــم ذلـــــك اليـــــوم يلقـــــون نضـــــرة وســـــرورا
وجـــــزاهم بـــــأنهم صـــــبروا فـــــي السّـــــرِّ والجهـــــر جنـــــة وحريـــــرا
فـــي اتكـــائهم لا يـــرون لـــدى الجنـــة شمســـــاً كـــــلا ولا زمهريـــــرا
وعلـــــيهم ظلالهـــــا دانيـــــات ذللـــــت فـــــي قطوفهـــــا تيســـــيرا
وبـــــأكواب فضـــــة وقـــــوارير قـــــوارير قـــــدرت تقـــــديرا
ويطـــــوف الولـــــدان فيهـــــا علـــــيهم فيخـــــالون لؤلـــــؤاً منثـــــورا

الأبيات كلها اقتباس من سورة الإنسان من الآية(٥ – ٢٢)،فهؤلاء الأبرار هم أهل البيت عليهم السلام الذين أراد الشاعر أن يبيّن مكانتهم الرفيعة وما أعده الله تعالى لهم ولمن اقتدى بهم، ففي البيت الأول قال: يشربون بكأسٍ والنص الكريم " يشربون من كأسٍ"،" فهو استبدل حرف الباء بمن لأن من

---

(١)الديوان: ٧٩

(٢)الديوان: ٧٨

معاني الباء الإلصاق، كما نقول أمسكت بالقلم؛ ليكني بذلك عن القرب الشديد، وكأنّ الكأس لاتفارق شفاه الأبرار بحيث أصبحت ملازمة لهم؛ ولذلك أضاف كلمة (حقا) زيادة في التقرير لهذا المعنى، فكل زيادة في المعنى تقابلها زيادة في المعنى" [١] وقريب منه قوله: [٢]

إذ جـــاءهم ســـائلٌ يتـــيمٌ وجـــاء مـــن بعـــده أســـيرُ

وقد ينسج من مجموع حفظه للقرآن الكريم ومن مجموعة نصوصٍ، بيتا أو أبياتا بشكل متقن، كما فعل في قوله:[٣]

إنمـــا نطعـــم الطعـــامَ لوجـــه اللّـــه لا للجـــزاءِ فـــي العـــاجلاتِ
فجـــزاهم بصـــبرهم جنـــةَ الخلـــد بهـــا مـــن كواعـــب خيـــرات

فقد استعان في البيت الأول بقوله تعالى"إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورا" [٤] وفي البيت الثاني من قوله تعالى:" وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً " [٥] وقوله تعالى:" فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ"[٦] وقوله تعالى:" وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا " [٧] وقوله تعالى:" أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاء وَمَصِيراً" [٨]

وفي مدح الإمام عليّ عليه السلام يقول:[٩]

مـــا قـــال قـــدماً أعـــدّوا مـــا اســـتطاع لـــه أولاء للقـــوم مـــن خيـــلٍ ومـــن خـــول

---

(١)التناص الديني في شعر طلائع بن رزيك: ثناء نجاتي عياش، دراسات،العلوم الإنسانية والاجتماعية، الأردن، المجلد ٣٢،ع ٢، ٢٠٠٥،٢٥٣

(٢)الديوان:٨.

(٣) الديوان:٦٩

(٤) سورة الإنسان: الآية ٩

(٥) السورة نفسها: الآية ١٢

(٦) سورة الرحمن: الآية ٧٠

(٧) سورة النبأ: الآية ٣٣

(٨) سورة الفرقان:الآية١٥

(٩) الديوان: ١١٨

ولـــو تـــولاهم الأدبـــار إن زحفـــوا يومـــاً فـــراراً إلـــى الأســـتار والكلـــل

في البيت الأول إشارة إلى الآية:" وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (١)، أما الثاني فهو مقتبس من قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ " (٢)، فالشاعر كان في معرض الإشادة ببطولة الإمام وثباته في ساحات الحروب التي شهدت له بأنه كرارٌ غيرُ فرّار، ليستثمر هذا المشهد وغيره في قتال الأعداء برا وبحرا.

ونبقى معه في أجواء المعارك، فنراه يوظّف الآية:" وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً" (٣) ، وهو يتحدث عن بسالة قواته التي مكنت خيلها من سحق الجبال –وهو مبالغة– كناية عن القوة والإقدام ومسك زمام الأمر بأيديهم،وبعد أن أصبحت سهلا من شدة وقع الخيل عليها قمنا بصب الدماء بدلا من الماء عليها وهي دماء الأعداء الغزيرة التي روّت تلك الأرض التي صارت سهولا بعدما كانت جبالا، يقول: (٤)

جعلنـــا جبـــالَ القـــدس فيهـــا وقـــد جـــرت عليهـــا عتـــاقُ الخيـــل كـــالنَّفنَف السُّـــهب

فقـــد أصـــبحت أوعارُهـــا وحزونُهـــا ســـهولاً توطَّـــا للفـــوارس والركـــب

ولمـــا غـــدتْ لا مـــاءَ فـــي جنباتِهـــا صـــبَبنا عليهـــا وابـــلاً مـــن دمٍ ســـكب

وكان الشاعر يحسن اختيار كلماته التي تناسب مايريد تصويره من مشاهد وأحداث لتتلاءم مع الأصل وهو القرآن الكريم، لكنه كغيره من الشعراء يخطئ ويصيب وربما كان من أخطائه سوء اختيار الاقتباس من النص الكريم في الغرض المطلوب وان كان المعنى حسنا، لكنه لايناسب الغرض في القران الكريم، فيقول: (٥)

واللّـــهِ لـــولا اســـمُ الفـــرار وأنـــه مســـتقبحٌ لفـــررتُ منـــه إليـــه

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦.

(٢) السورة نفسها: الآية ١٥

(٣) سورة طه:الآية ١,٥

(٤) الديوان: ٥٨

(٥)الديوان: ١٧٥

وهو مأخوذ من قوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ" [١]، فالغرض في القران تحذير المؤمنين من الفرار أمام الكفار، وطلائع وظّفه في معرض الغزل والفرار إلى المحبوب، وهو غير مناسب من حيث الاختيار.[٢]

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

كما كان القران الكريم نبعاً من منابع الاقتباس الديني في شعره، كان الحديث النبوي كذلك، وقد كرره مرارا وهو يتحدث في المديح والرثاء عن قضية الإمامة والخلافة من بعد النبيّ ﷺ، وتكرار قصة غدير خُم، وأن أهل البيت عليهم السلام عِدل القران، لكنّ اقتباسه من الحديث الشريف كان أقل مما كان عليه في القران الكريم،ومن ذلك قوله:[٣]

إليكَ فلا أخشى الضَّلالَ لكونهم هداتي وهم في الحشرِ سُفنُ نجاتي

فوظّف الحديث الشريف:" مثلُ أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا،ومن تخلف عنها غرق وهوى " [٤]

وفي قوله: [٥]

ويوم خمٍّ وقد قال النبيُّ له بين الحضور وشالتْ عضدَهُ يدُهُ:

من كنتُ مولىً له هذا يكون له مولى، أتاني به أمرٌ يؤكده

من كان يخذله فاللّه يخذله أوكان يعضُده فاللّه يعضده

فجاء بالأبيات أعلاه وهو يسرد قصة تنصيب الإمام عليّ عليه السلام في آخر حجة مع النبيّ ﷺ في غدير خُم امتثالا لقوله تعالى:" يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٥

(٢) ينظر الاقتباس من القران الكريم في ديوانه غير ما ورد:٥٧، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٧.، ٧٣، ٧٥، ٩١، ١,٦، ١,٧، ١١.، ١١٦، ١١٩، ١٢٩-١٣٥،١٢٩، ١٤٣، ١٤٤، ١٥.، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٦٣، ١٦٦ وغيرها.

(٣) الديوان:٦٧

(٤)المستدرك على الصحيحين:الحاكم:محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٩٩٠، ٣٤٣/٢ حديث رقم (٤٧١٥).

(٥) الديوان: ٧٣، ينظر: ١٤٧، ١٧١، ورد ذكر(خُم) صراحة.

مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ " [1]، فقال رسول الله ﷺ " من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصرْ من نصره، واخذل من خذله، وأحبَّ من أحبه، وأبغض من أبغضه " [2]، وكما أن النبيّ ﷺ لم يكتفِ بتنصيب عليّ عليه السلام وليّا، وإنما جاء بـ(والِ وعادِ وانصر واخذل٠٠٠)، كذلك الشاعر وظّف هذا المفهوم في البيت الثالث (من كان يخذله٠٠٠٠أو كان يعضده) مشيراً إلى ماسيحدث في المستقبل بعد النبيّ ﷺأي(سيخذله٠٠٠)٠

وفي قوله: [3]

أنـــا –ابـــنُ رُزَيْـــك– ولـــيٌّ لمـــن رتبتُـــــه رتبـــــةُ هـــــارون

فالبيت متعلق بالحديث :" عليٌ مني بمنزلة هارون من موسى " أو على رواية" ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لانبيّ بعدي" [4]، وهناك مجموعة من الأحاديث اقتبسها في مضامين شعره لايسع المجال لذكرها٠[5]

التضمين:

كان الشعر العربي رافداً ينهل منه الشعراء ويمدهم بالصور الجميلة التي تعكس ثقافة الشاعر وسعة اطلاعه على النتاج الأدبي السابق، ومن أبياته في ذلك، قوله: [6]

فلـــيس يســـطيعُ أن يقـــولَ لنـــا (لا نـــاقتي فـــيهم ولا جملـــي)

وهو مأخوذ من قصيدة الطغرائي المعروفة بـ (لامية العجم)ومن قول الطغرائي: [7]

فـــيمَ الإقامُـــة بـــالزوراءِ لاسَـــكَني بهـــا، ولانـــاقتي فيهـــا ولاجَملـــي

وقوله من قصيدة أرسلها إلى أسامة: [8]

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٧

(٢) المستدرك على الصحيحين: ح(٤٥٧٦)، السنن الكبرى :النسائي : أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٩٩١، ٥ /١٣١ .

(٣) الديوان:١٤٩

(٤) صحيح البخاري:البخاري،محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ ٨٦٩م) ،دار الفكر، بيروت ، ١٩٨١ م،٤٩٢/٥ .

(٥) ينظر مجموعة منها في الديوان: ١٢٥، ١٢٩، ١٣٥،١٧٠، ١٧٣ وغيرها

(٦) الديوان:١٢٤

(٧) لامية الطغرائي:تحقيق: د.علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣

(٨) الديوان: ١٣٤

والعـــرب أقتـــلُ داء يهلكـــونَ بـــه أن تملـــكَ الحكـــمَ فـــي أعناقهـــاعجمُ

وأخذ هذا المعنى من بيت المتنبي:[١]

وإنمـــا النـــاسُ بـــالملوك ومـــا تفلـــحُ عُـــربٌ ملوكهـــا عَجَـــم

وأخذ منه معنى بيته:[٢]

قـــالوا: المعـــارفُ فـــي أهـــل النُّهـــى ذمَـــمُ وقـــد غـــدا بيننـــا العرفـــانُ والـــذمم

أخذه من قول المتنبي:[٣]

وبيننـــا لـــو رعيـــتم ذاك معرفـــةٌ إنّ المعـــارفَ فـــي أهـــل النهـــى ذمـــمُ

وأيضا أخذ قول المتنبي:[٤]

وَبَـــينَ الرِضـــا وَالسُـــخطِ وَالقُـــربِ وَالنَـــوى مَجـــالٌ لِـــدَمعِ المُقلَـــةِ المُتَرَقـــرِقِ

فقال:[٥]

ولما نأتْ عنا على كل حالةٍ تساوى الرضا والسخطُ والقربُ والشحطُ

وفي شعره ترد أسماء كثيرة بشكل صريح وأخرى تلميحا، كلها تدلل على تمسكه بالثقافة الدينية والتاريخية مثل:(يعقوب، يوسف، محمد،علي، فاطمة، الحسن، الحسين، سلمان، المقداد،...جميل، قيس وغيرها)، من ذلك قوله: [٦]

تحمّلتُ من عبءِ الصبابة ضعفَ ما تحمّل قيسٌ في الهوى وجميل

وفي قوله: [١]

---

(١) ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري (التبيان في شرح الديوان)، تح، مصطفى السقا وآخرون، دار المعرفة، بيروت، ب. ط، ١٩٨٧، ٥٩/٤

(٢) الديوان: الصفحة نفسها

(٣) ديوان المتنبي:٣٧/٣.

(٤) ديوان المتنبي: ١٥٢/٢

(٥) الديوان: ٨٥

(٦) الديوان: ١١٢

أو كان يوسفُ أولاً في عصره لا في ملاحته فهذا الثاني

وفي قوله: [٢]

ولقد يُهَوِّن ما أصابكم فقد (الحسين) الطهر و(الحسنا)

(١) الديوان: ١٤٣

(٢) الديوان: ١٦٣

الفصل الرابع

الموسيقى الشعرية

الموسيقى الشعرية تعد عنصرا مهما من عناصر تشكيل البيت الشعري، إذ إنها تسهم مع الأفكار والألفاظ والصور في الارتقاء بأسلوب التعبير الشعري إلى مرتبة عالية، وهي من أقوى عناصر الشعر التي تعبر عن التجربة الانفعالية التي هي غاية الشعر المهمة، ويلعب الوزن دورا فعالا في التأثير بهذه الموسيقى عن طريق الكلمات التي تثير الانتباه إلى هذه الأصوات، فضلا عن القافية ذات الإيقاع الجميل الحسن التي تتفاعل مع بعض الفنون البديعية كالجناس والطباق والمقابلة والترصيع والموازنة....

" والموسيقى أساسية في كل شعر، فهي جوهره ولبّه، وبدونها لايكون الشعر شعراً،إذ هي ركنه الذي لايقوم بدونه،...فمنذ وجد الشعر وجدت معه موسيقاه،بل هو إنما تخلّق في أحشائها، ولم يتخلق وحده بل تخلق معه النغم أيضاً" (١)

المبحث الأول: الموسيقى الخارجية

ا-الأوزان:

لقد عرف الشعر عند العرب بأنه "قول موزون مقفى يدل على معنى"(٢)،وقد وجدوا أن "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية"(٣)، وهو أول أركان الموسيقى الخارجية مع القافية،يحرك الخيال، ويجدد الاهتزاز العاطفي بما فيه من إيقاع جذاب.

انّ النص الشعري وليد مجموعة من المكونات اللغوية والصوتية والمعجمية التي رُكبتْ بطريقة آلية، ترتكز في أساسها على عنصر التجانس بين وحداتها؛بحيث تتناسب كل وحدة مع التي تليها في النص الشعري، فيهدف الشاعر الى تحقيق أكبر قدر ممكن من التناغم الإيقاعي في القصيدة، كما إن تعاقب الحركة والسكون لايكون عشوائياً في الأوزان، وإنما هو عملية تَناسب داخل نظام متحد لحركة منتظمة في الزمن (٤).

---

(١) في التراث والشعر واللغة: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧

(٢) نقد الشعر، ٦٤

(٣)العمدة، ١ / ٢٣٧.

(٤) مفهوم الشعر:٢٩٦

وللوزن أهمية كبيرة في ترابط الكلمات فيما بينها، ومن جيد صفاته " سهولة اللفظ – الترصيع" [١]، وقد وزع شاعرنا أوزانه الشعرية على موضوعاته بنسب متفاوتة ولم يحصرها بوزن معين على موضوع بعينه وبذلك حقق انسجاما رائعا بين أوزانه.

ولما كانت موضوعات طلائع تمتاز بالجدة كالرثاء والمديح،ووصف المعارك، كان من الطبيعي أن يميل في اختياره لبحور كثيرة المقاطع كالكامل والطويل والبسيط بسبب ملاءمتها لاستيعاب المواقف الجليلة والأفكار المختلفة والعواطف الجياشة، إذ يكون للشاعر حرية التصرف بموضوعات شعره بيسر دون أن يكون هناك تقييد لقريحته الشعرية، وبعد استقرائنا لأشعار طلائع وإحصائها، وكانت في ديوانه (٨٢) قصيدة ومقطوعة وأبيات متفرقة، وجدنا أن بحر(الكامل) من أكثر البحور المستعملة في شعره، إذ استعمله في (٢٣) قصيدة و مقطوعة في التام، و(١١) مرة في مجزوء الكامل،وهو بحر شائع في الشعر العربي، ويُعد من بحور الدرجة الأولى [٢]، وفيه ثلاثون حركة لم تجتمع في غيره من الشعر، كما ذُكر في العمدة عن الخليل [٣].

ويمتاز هذا البحر بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المنسابة الهادئة، لذا فانه أصلح البحور في معالجته للموضوعات الجدية التي أكثر منها العرب كالمدح والرثاء والعتاب والفخر والاعتذار، ومثال ذلك قوله:[٤]

نفــقَ التــأدبُ عنــدنا فــي ســوقه ... وبــدا اليقــينُ لنــا بلمــع بروقــهِ
أهــدى لــي القاضــي الفقيــه عرائســاً ... فيهــا بــديع الوشــي مــن تنميقــه
فأجلــت طرفــي فــي بــديع رياضــه ... مــن ورده وبهــاره وشــقيقه
فكأنمــا اجتمــع الأحبــة فــانبرت ... يــدُ عاشــق تهــوى إلــى معشــوقه

وقوله: [٥]

دعنــي قبيــل اللهــو غيــر قبيلــي ... وســبيل أهــل اللــوم غيــر ســبيلي
لــم أشــتغل عــن جمــع أشــتات العلــى ... بملــيحِ وجــهٍ أو بكــأس شــمولِ
لا تعــذلني إننــي لا أقتفــي ... سُــبل الضــلال لقــول كــل عــذول

---

(١) نقد الشعر: ٥٤

(٢) أوزان الشعر:مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨، ٩٥

(٣) العمدة: ١٣٦، ينظر: بحور الشعر العربي (عَروض الخليل): د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط ٢، ١٩٩٢، ٩١

(٤) الديوان:١,٥

(٥) الديوان: ١١٠

قــولي لمــن قــد ســامني الرجعــى إلــى مــا لا يجــوز أتيــتَ غيــرَ جميــل
إن الخليـــــل إذا تجنّـــــب مـــــذهبي قلــتُ ابتعــدْ مــا أنــت لــي بخليــل

ومن مجزوء الكامل قوله: (١)

يـــا تربـــةً بـــالطّف جـــادتْ فوقـــك الـــديمُ الهموعـــه
وغـــدا الربيـــع مقيـــداً فـــي ربعـــك العـــافي ربيعـــه
حتـــى يـــرى الـــدِّمن المروعـــة منـــك مخضـــبة صـــريعه

وبعده في عدد المرات بحر الطويل إذ ورد في (١٥) قصيدة،وهو من البحور كثيرة الشيوع في الشعر العربي فهو" يمثل ما يقرب من ثلث الشعر العربي، وانه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه ويفضلونه على غيره ويتخذونه ميزاناً لأشعارهم، ولاسيما في الأغراض الجليلة الشأن " (٢)

ومن الطويل قوله: (٣)

نقـــول ولكـــن أيـــن مـــن يـــتفهم ويعلـــم وجـــه الـــرأي والـــرأي مـــبهمُ؟
وماكلُ من قاسَ الأمورَ وساسها يوفق للأمر الذي هو أحزم
ومأأحدٌ في الملك يبقى مخلداً وما أحد مما قضى اللّه يسلم

وفي المرتبة الثالثة يرد بحر البسيط بـ (١٠) قصائد، وبعده الخفيف بـ (٧) قصائد، ثم المتقارب في(٣) قصائد.

ومن البسيط قوله: (٤)

وصيِّه ومواسيِه وناصرِه على أعاديه من قيسٍ ومن يَمَن

وقوله: (٥)

أحبـــابَ قلبـــي إن شـــطَّ المـــزار بكـــم فـــإنكم فـــي صـــميم القلـــب ســـكان
وإن رجعـــتم إلـــى الأوطـــان إن لكـــم صـــدورنا عـــوض الأوطـــان أوطـــان
جـــاورتم غيرَنـــا لمـــا نـــأت بكـــم دارٌ وأنـــتم لنـــا بـــالود جيـــران

---

(١)الديوان: ٩٢

(٢) موسيقى الشعر العربي: إبراهيم أنيس، مكتبة الأ نجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢، ١٩١

(٣) الديوان: ١٣٣

(٤) نفسه: ١٤٦

(٥) الديوان: ١٦٣

أما الأوزان الأخرى فقد وردت بشكل أ قل كما في الجدول الآتي:

التسلسل	البحر	عدد مرات تكراره	عدد الأبيات	النسبة المئوية
١	الكامل	٢٣	٣١١	%٤٠،٢٨
٢	مجزوء الكامل	١١	٢٥٦	%١٣،٤١
٣	الطويل	١٥	٣٦٣	%١٨،٢٩
٤	البسيط	١٠	٣٦٧	%١٢،١٩
٥	مجزوء البسيط	١	٣٢	%١،٢٧
٦	الخفيف	٧	١٨٦	%٨،٥٣
٧	المتقارب	٣	٥٧	%٣،٦٥
٨	الرمل	٢	٥	%٢،٤٣
٩	مجزوء الرمل	٣	٤٦	%٣،٦٥
١٠	الوافر	٢	٤٥	%٢،٤٣
١١	السريع	٢	٤٠	%٢،٤٣
١٢	المنسرح	١	٥٣	%١،٢١
١٣	الرجز	١	٤٩	%١،٢١
١٤	مجزوء الرجز	١	٣٣	%١،٢١

وبحسب الجدول، فانّ عدد أبيات الكامل مع مجزوئه (٥٦٧) بيتاً، بعده البسيط مع مجزوئه في(٣٩٩) بيتاً، وبعده الطويل في (٣٦٣) بيتاً، ثم الخفيف في (١٨٦) بيتاً.

ولم ترد في قصائده البحور الآتية: المديد، المجتث، الهزج، المضارع، المقتضب، المتدارك، وقد تكون في أشعاره التي فقدت.

ب-القوافي:

وهي الركيزة الثانية لإتمام معنى الإيقاع الخارجي وتكملته مع الوزن، ولا ننسى ما للقافية من دور فهي التي تمد القصيدة بروافد النغم والإيقاع والموسيقى لأنها "شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولايسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية "[١]، ولها قيمة موسيقية ودلالية في البيت، وتكرارها يزيد في وحدة النغم، ولابد للكلمة الأخيرة أن تأخذ مكانها مطمئنة مستقرة من الناحية النحوية، ومن حيث التماثل الصوتي والحركي مع بقية الأبيات [٢]

" فالقافية جزء من الوزن الشعري للبيت وهي مع ذلك تحدد نهاية البيت ايقاعيا ولهذا فهي عامل أساسي في تقسيم القصيدة إلى أبيات "[٣]

لذا نرى ان النقاد والباحثين قد أولوها اهتماماً بالغاً لكونها تعطي موسيقى تهتز لها المشاعر والوجدان لترنمها وتكرارها المتناسق، وتظهر أهمية القافية والوزن معاً لأنهما مفتاح القصيدة، بما يشيعان من موسيقاهما من وحدة وترابط' ومن محاسنها " أن تكون عذبة، سلسة المخرج، موسيقية، لاتختم بما يدل على رقة في مقام القوة والفحولة، انّ القافية المتمكنة تكون في البيت كالشيء الموعود به المنتظر، يتشوقها المعنى، ويتطلع اليها" [٤]

" وإذا كان "البيت" عدداً متساوياً من المقاطع الصوتية المنظمة بطريقة مخصوصة بحيث يتساوى كل بيت في القصيدة مع الآخر، فانّ القافية تشتمل على "المقطع المتَّحد" في القصيدة"[٥].

وبعد إحصائية في ديوان الشاعر تبين أن أكثر حروف الروي المستخدمة هي حروف:اللام فقد ورد(٤٤٧) مرة، والنون(٤,١)، والباء(١٩٥)، و(العين(١٢٥) ثم (الفاء(١١٢)، وكان أقلها وروداً: الثاء(٥) مرات، والشين(٥) مرات وهما من الحوش وقد وردا عنده في موضعين من بحر واحد، فكانت الشين من الرمل والثاء من مجزوء الرمل، واستعمل الحاء في قصيدة واحدة في (٣٣) بيتا في الرثاء من مجزوء الرجز، وكانت أطول قصائده من الطويل(٦٨) بيتا في الرثاء، بعدها(٦٥) بيتا من البسيط في الرثاء، وهما لاميتان، وبعدهما في (٦٤) بيتا من الطويل في الحرب أرسلها الى أسامة، ثم (٦٠) بيتاً في الرثاء أيضا من مجزوء الكامل.

---

(١) العمدة: ١٥١/١.

(٢) ينظر: البناء العروضي للقصيدة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف،دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ١٨٢

(٣) موسيقى الشعر العربي: ١٤١

(٤) أسس النقد الأدبي: ٣٤٦

(٥) البناء العروضي للقصيدة العربية :١٦٧

استخدم الشاعر حروف الروي (الهمزة والباء والتاء والثاء والحاء والدال والراء والشين والصاد والطاء والعين والفاء والقاف واللام والميم والنون والهاء والياء)، ولم ترد في الديوان الحروف: الجيم والخاء والذال والزاي والسين والظاء والغين والكاف والواو.

التصريع:

أفاد الشاعر كثيرا من القافية الداخلية (التصريع)، الذي يكون فيه مصراع الشطر الاول مثل آخر البيت في الروي، وهو من سمات الشعراء الأوائل " وأن يقصد لتصيير مقطع المصراع الأول في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها، فإنّ الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك ولا يكادون يعدلون عنه، وربّما صرّعوا أبياتاً أُخَر من القصيدة بعد البيت الأول، وذلك يكون من اقتدار الشاعر وسعة بحره " [١]

وللتصريع أثرٌ ايجابيّ في بناء الموسيقى الشعرية، فهو يزيل الرتابة عن النغمات، ويحدث رونقا خاصا يستمتع به الشاعر والمتلقي، وقد استعمله الشاعر في (٤٤) قصيدة ومقطوعة في الديوان أي بنسبة (٥٢,٣٨%) وهي نسبة تجاوزت النصف من مجموع القصائد، مما يؤكد تمسكه بالتراث الشعري القديم الذي سار عليه أبرز الشعراء [٢]، وكان أحيانا لايكتفي بتصريع البيت الأول وإنما ينتقل الى الثاني: [٣]

ماكان أول تائهٍ بجماله بدرٌ منالُ البدر دون منالهِ
متباينٌ فالعدلُ من أقواله ليغرّنا والجورُ من أفعاله

---

(١) نقد الشعر: ٨٦

(٢) ورد التصريع في القصائد: ولائي- برائي/٥١،الكتائب- الحبايب/٥٣، اعجابه- حُجّابه/٥٧، الشبابِ- الغرابِ/٥٧،الكتبِ-غربِ/٥٨،بالحبِّ- بالعتبِ/٥٩،صبواتي-آتِ/٦٧، كالأقاحي- راحِ/٧٠، مؤيد- العدا/٧٢،أعهدهُ- أجودهُ/٧٣،مجهودِ-صدودِ/٧٥،الغرورُ-زورُ/٧٦،الدهرُ-النصرُ/٨١،الحشا-فشى/٨١،المعاصي- القصاصِ/٨٢، مضى- يغمضا/٨٢، قرطُ-سمطُ/٨٤،الأنزعِ- دعي/٨٨، خدعُ- منقطعُ/٩٠، قفا- وكفا/٩٥، طَرفُ-طُرف/٩٨، تتنزفُ- صدفُ/١٠٠، سوقهِ- بروقه/١٠٥، قبيلي- سبيلي/١١٠، وصولُ- نصولُ/١١٢، البخلِ- الغزلِ/ ١١٥، أقبلُ- تعذلُ/ ١١٩، الأملِ- الأجلِ/ ١٢٢، يتفهمُ- مبهمُ/١٣٣، قسمُ-رحمُ/١٣٣،العزائم- الصوارمُ/١٣٥، البانِ-الكثبانِ/١٤٣،الظعنِ- الدِّمنِ/١٤٦، يسليني- نسرينِ/١٤٨، القرينا-البرينا/١٥٠، البنا- معينا/١٥٣،الخفقانِ-همىلانِ/١٥٦،أنينُ- حنينُ/١٦٠،بنا- احنا/١٦٣، مجدالدينِ-الجونِ/١٦٤،الساهي- الناهي/١٦٨، علي- الولي/١٧١ .

(٣) الديوان: ١٢٦

وقد يلتزم رويّا في الأشطر الأولى يخالف الروي، وهي قافية داخلية ملتزمة، وهو يراعي فيها أسس القافية وشروطها، وكأنه قصدها قصدا [١]،

فيقول مخاطباً الإمام عليّاً عليه السلام: [٢]

كأني إذ جعلت اليك قصدي	قصدتُ الركنَ[في]* البيتِ الحرامِ
وخُيِّل لي بأني في مقامي	لديه بين زمزم والمقام
أيا مولاي ذكرُك في قعودي	ويا مولاي ذكرك في قيامي
وأنت إذا انتبهتُ سمير فكري	كذلك أنت أنسي في منامي
وحُبُّك إن يكن قد حلَّ قلبي	ففي لحمي استكَنَّ وفي عظامي

التدوير:

وهو اشتراك شطري البيت في كلمة واحدة، ويسمّى المدوّر أو المداخل أو المدمج، يقول ابن رشيق: " والمداخل من الأبيات: ما كان قسيمه متصلاً بالآخر، غير منفصل منه، قد جمعتهما كلمة واحدة،وهو المدمج أيضاً، وأكثر ما يقع ذلك في عروض الخفيف، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة، إلا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين، وقد يستخفونه في الأعاريض القصار :كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك" [٣]

" فالتدوير إذن – بوصفه ظاهرة موسيقية – ارتبط لدى أكثر من شاعر متمرس او كبير باتجاه فني معين، وبأسلوب تعبيري معين أيضاً، أي انه ظاهرة انبثقت عن ضرورات موضوعية وفنية، وتوشك هذه العلاقة بين ظاهرة التدوير والأداء القصصي ان تكون حقيقة لا يمكن التغافل عنها ابداً – في حدود الزمن والنتاج الشعري– كما ان لأسلوب السرد الذي يتصف بالتتابع والاسترسال دوراً آخر يسهم في خلق أداء موسيقي له صفة التتابع المستمر، وواضح ان التدوير هو الظاهرة الموسيقية التي تتصف بمثل هذه الصفات وتحمل – بتكوينها المتكرر – متطلبات التلاحق الإيقاعي الذي ينسجم مع الأحداث المتلاحقة"[٤]

---

(١) موسيقى الشعر العربي: ١/١٥٦–١٥٧

(٢) الديوان: ١٣٢

*وردت في الديوان(والبيت الحرام) وهو خطأ طباعي،والصواب وجود(في) .

(٣) العمدة: ١٧٧–١٧٨، ينظر: موسيقى الشعر العربي:٢٣٥

(٤) دير الملاك: د. محسن اطيمش، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، بغداد، ط ٢، ١٩٨٦م.

وفي ديوان الشاعر وردت (١٦) قصيدة من البيت المدوّر،(٥)منها كانت الى أسامة بن منقذ، وتوزعت قصائده الى أسامة –التي بنيت على التدوير– على البحر الخفيف وعددها(٣) قصائد، أما القصيدتان المتبقيتان فكانتا من مجزوء الكامل، ولو تأملنا قصائده المرسلة الى أسامة المدورة وغيرها لوجدناها تتوزع على البحور الآتية:

الخفيف: ٣ قصائد، الطويل:٣ قصائد، البسيط :٣ قصائد، مجزوء الكامل: ٢ قصيدتان=١١أما القصائد الأخرى من المدوّر لغير أسامة، فكانت:

السريع:٢قصيدتان، مجزوء الرمل:٢قصيدتان، مجزوء الكامل:١ واحدة = ٥

فتكون حصّة أسامة من أبيات التدوير النصف مما ورد في الديوان، الأمر الذي يعكس قربه من الشاعر ليبث له خوالج نفسه، من شوق اليه وألم لمصير المسلمين وعدم توحدهم بوجه أعدائهم، فتراه يهدر اليه بسيَبه الثري من دون ان يترك مجالا لالتقاط أنفاسه، ربما لأنه يخاطب من هو أقرب الناس إليه ممن يقدر دور الكلمة وأثرها، ومن قصائده معه: [١]

(الخفيف)

أيُّهـــا المنقـــذيّ أنـــت علـــى البعـــد صـــديقٌ لنـــا ونعـــمَ الصـــديقُ

لـــيس فيمـــا تأتيـــه مـــن بِـــرٍّ أفعالـــك للطالـــب الحقـــوق عقـــوقُ

فلهـــذا نـــرى مواصـــلة الكتـــبِ تباعـــاً إليـــك ممـــا يليـــقُ

ومناجيـــك بالمهمّـــاتِ إذ أنـــت بإلقائهـــا إليـــك خليـــقُ

وأهـــمُّ الأمـــور أمـــرُ جهـــادِ الكفـــرِ فاســـمعْ فعنـــدنا التحقيـــقُ

طلائع هنا يتخيّر حتى الألفاظ بدقة، فهي رسالة مناجاة لأعز أصحابه، فهو صديق ليس في أفعاله عقوق، فلذا يستحق أن يطلعه على أخبار جهاده مع العدو، فهي أهم الأمور عنده، ولذلك نراها أقرب الى النثرية، فليس فيها من فنون البديع مايذكر.

وقوله من (مجزوء الكامل): [٢]

يـــا ســـيداً يســـمو بهمتـــه إلـــى الرُّتَـــبِ العليّـــة

فينـــال منهـــا حـــين يُحـــرم غيـــره أوفـــى مَزيّـــة

---

(١)الديوان: ١,٣، وعددها(١٣) بيتاً

(٢) الديوان: ١٧٣، ينظر القصائد الأخرى في الديوان :٦١، ١٢٤، ١٢٨(إلى أسامة)، ٦٩، ٨.،١٥٧، ١٦٢، ١٧..

أنـــت الصـــديق وإن بعـــدت وصـــاحبُ الشـــيم الرضـــيّة

يهنيـــــك أن جيوشَـــــنا فعلـــــتْ فعـــــال الجاهليـــــة

القافية المقيدة والمطلقة:

أما المقيدة فهي التي يكون رويّها ساكناً فيتقيد به الشاعر في القافية وهي قليلة عند معظم الشعراء، وأما القافية المطلقة: فهي التي يكون رويّها متحركاً[١]، واستعمل طلائع القوافي المطلقة بشكل يكاد يكون مطلقا لولا بعض الأبيات القليلة وعددها (٥٨) بيتا توزعت على قصيدتين ومقطوعتين صغيرتين [٢].

وتزدان القوافي المطلقة بجمالها وإيقاعها المترنم ولاسيّما إذا اتصلت بها ألف الإطلاق التي تعطي الشاعر أفقا رحباً، وتمد القصيدة بموسيقى طويلة تناسب حركات النفس وامتدادها،" فتكون جميلة الجرس لذيذة النغم سهلة المنال، وبخاصة إذا كانت القافية مطلقة، من ذلك الهمزة والباء والدال والراء والعين واللام بخلاف نحو التاء والثاء والذال والشين والضاد والغين، فانها ثقيلة غريبة الكلمات" [٣]

ومن أمثلتها، قوله: [٤]

لـــــولا هـــــواكم ماقطعـــــتُ البينـــــا ولا طلبـــــتُ فـــــي العلـــــى معينـــــا

وقوله: [٥]

بهـــم باهـــلَ اللّـــهُ أعـــداءَه وكـــــان الرســـــولُ بهـــــم بـــــاهلا

---

(١) ينظر: موسيقى الشعر العربي: ١/١٥.-١٥١

(٢) ينظر القوافي المقيدة في الديوان: ٥٥، ٦٦،١٧.، ١٧٣ .

(٣) أصول النقد الأدبي: ٣٢٥-٣٢٦

(٤) الديوان: ١٥٣

(٥) الديوان: ١٣١

وهـــذا الكتـــابُ وإعجـــازُهُ علـــى مَـــنْ وفـــي بيـــتِ مَـــنْ أنـــزلا

وأدناه جدول بعدد القوافي الواردة في الديوان

القافية	عدد مرات ورودها	النسبة المئوية
الهمزة	١	%١,٢١
الباء	٨	%٩,٧٥
التاء	٤	%٤,٨٧
الثاء	١	%١,٢١
الحاء	١	%١,٢١
الدال	٥	%٦,٠٩
الراء	٧	%٨,٥٣
الشين	١	%١,٢١
الصاد	١	%١,٢١
الضاد	٢	%٢,٤٣
الطاء	٢	%٢,٤٣
العين	٣	%٣,٦٥
الفاء	٣	% ٣,٦٥
القاف	٥	%٦,٠٩
اللام	١٤	%١٧,٠٧
الميم	٥	% ٦,٠٩
النون	١٤	%١٧,٠٧
الهاء	٢	% ٢,٤٣
الياء	٣	% ٣,٦٥

يظهر الجدول أن روي اللام والنون قد أحرزا أعلى نسبة في التكرار، يليهما الباء وهذه الحروف من الأصوات اللينة السهلة، وهي من الأصوات الصامتة المجهورة [١]

المبحث الثاني: الموسيقى الداخلية

يمثل الإيقاع الذي تحدثه حركة الأصوات الداخلية التي لا تعتمد على تفعيلات البحور العروضية الموسيقى الداخلية للبيت الشعري، كما انه يتمتع بدور مهمفي ترابط الكلمات في القصيدة، ويعطي البيت أو القصيدة تناغماً صوتياً متآلفاً؛ ونلاحظ مدى دور الكلمة من الناحية الصوتية والنفسية عند السماع؛ فالإيقاع الداخلي للألفاظ، والجو الموسيقي الذي يحدثه عند النطق بها، يعد من أهم المنبهات المثيرة والانفعالات الخاصة المناسبة[٢]

وقد شكلت هذه الموسيقى عنصرا فعالا مال إليه طلائع وحرص على توفيره في شعره فهو لم يترك وسيلة أو أداة يحقق بها الموسيقى الملائمة لشعره، وقد تميز أسلوبه بالإكثار من الصنعة البديعية، فهي إحدى وسائله في خلق موسيقاه الداخلية ولكي تساهم مع الموسيقى الخارجية في تكوين وحدة النص الموسيقية والإيقاعية، ومن خلال تلاؤم الحروف، وتوافقها الصوتي، ومن أبرز الفنون البديعية التي شكل بها طلائع موسيقاه الداخلية :

الجناس :

فن من فنون البديع المهمة التي تبنى عليها الموسيقى الداخلية، "وهو تشابه اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى، وسبب هذه التسمية راجع إلى أن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد "[٣]، وهو من الفنون البديعة التي تعتمد التأسيس،" ويشترط فيه أن لايكون متكلَّفا، ولامستكرَهاً استكراهاً، وأن يكون مستعذبا عند ذوي الحسِّ الأدبي المرهف، وقد نفر من تصنّعه وتكلّفه كبارُ الأدباء والنقاد" [٤]، وذكره صاحب الصناعتين " التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين

---

(١) ينظر: علم الأصوات: د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ١٧٤

(٢) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤، ٤١

(٣) مدخل إلى البلاغة العربية: ٢٧٦

(٤) البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونه: ٢/ ٤٨٥

تجانس كلّ واحدةٍ منهما صاحبتها في تأليف حروفها على حسب ماألّف الأصمعي كتاب الأجناس. فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى..." [١]

وقد ورد الجناس في شعر طلائع بأنواعه المختلفة، ومنها: [٢]

آدابك الغرُ بحرٌ ماله طَرَفُ في كلِّ سَمْعٍ بدا من حسنه طُرفُ

جانس الشاعر بين لفظتي (طرف وطرف) فالأولى بمعنى الحد والنهاية والثانية بمعنى المال المستحدث،وهذا الانسجام والتناغم الموسيقي من أجل بيان قيمة القصيدة التي أرسلها له أسامة بن منقذ وهو جناس غير تام، وفي قوله: [٣]

وبيض الضُّبى أحلى بقلبي عَلاقةً لدى النهرِ من بيض الظِّباء الكواعبِ

فالجناس بين(بيض– بيض) وهما اسمان، الأول يقصد به السيوف والثاني يقصد الفتيات او الجواري الحِسان وهو جناس تام متماثل.

وقوله: [٤]

أسامةُ لي منه اعتزام أسامةٍ ومرهفٌ فيه هزَّة المرهف العضب

الجناس في الشطر الأول بين (أسامة،وأسامة) الأولى اسم الشاعر المعروف أسامة بن منقذ، والثانية اسم من أسماء الأسد،وفي الشطر الثاني جانس بين (مُرْهَف– مُرْهَف)، الأولى يقصد بها مرهف بن أسامة بن منقذ والثانية تعني السيف القاطع، وهو جناس تام متماثل في الشطرين .

وفي قوله: [٥]

توالتْ علينا في الكتائب والكتبِ بشائرُ من شرق البلاد ومن غرب

تجد الجناس الناقص بين(الكتائب –الكتب) معززا النغم الموسيقي بالبشارة في النصر على الأعداء وتوالي أخبار الفرح من خلال الكتائب المحاربة والرسائل.

---

(١)الصناعتين: ٢٨٩

(٢) الديوان: ٩٨

(٣)الديوان: ٥٣

(٤)الديوان: ٦١

(٥)الديوان: ٥٨

وقوله من الجناس الناقص: [١]

من أمرُه بين الندى والردى قد كان بين الكافِ والنون

حيث كان الجناس بين كلمتي (الندى – الردى) في صدر البيت محاولة من الشاعر الإفادة من تقارب مخارج الحرفين لما لهما من تأثير في إظهار موسيقى الجناس بصورة فاعلة ومؤثرة.

وقوله في الناقص أيضاً: [٢]

شربتُ ودادَهم نهلا" وعلّاً وها أنا واردٌ ورد الظماء

فالمجانسة تمّت بين لفظتي (وارِدٌ– وِرْدَ) وان الدافع لهذا التوظيف على ما يبدو هو للاستفادة من التناغم الموسيقي الذي يؤلفه هذا التجانس في بيان أهمية الممدوح الاجتماعية والدينية، وقوله: [٣]

بهم تبلغُ الآمالُ من كل آمل بهم تُقبَل التوبات من كلِ تائب

هنا جانس الشاعر بين لفظتي(آمال–آمل) ومن ثم جانس بين (التوبات– تائب) وكلاهما من الجناس الناقص .

وهناك أمثلة كثيرة في الديوان يمكن مراجعتها للاطلاع على استخدامه للجناس بأنواعه [٤]

الطباق:

ويعني الجمع بين المتضادين، أي معنيين متقابلين في الجملة،أو" هو الجمع في العبارة الواحدة بين معنيين متقابلين على سبيل الحقيقة، أو على سبيل المجاز ولو إيهاما، ولايشترط كون اللفظين الدّالين عليهما من نوع واحد كاسمين أو فعلين، فالشرط التقابل في المعنيين فقط" [٥]،وقريب منه قول العسكري " قد أجمع الناس أنّ المطابقة في الكلام هي الجمع بين الشيء وضدّه في جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة، مثل الجمع بين البياض

---

(١) الديوان: ١٥.

(٢)الديوان: ٥١

(٣)الديوان: ٥٤

(٤) ينظر: ٥٢، ٥٦، ٥٧، ٦١، ٦٢،٦٦، ٦٧، ٦٨، ٧٣، ٧٩، ٨٣، ٩٧، ٩٨، ١..، ١,٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٥.، ١٥٥، ١٥٨، ١٦١وغيرها.

(٥)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونه: ٢/ ٣٧٧

والسواد، واللّيل والنهار، والحرّ والبرد وخالفهم قدامة بن جعفر الكاتب، فقال: المطابقة إيرادُ لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى " [١]

ومن أبيات طلائع في المطابقة، ما أرسله الى أسامة بن منقذ: [٢]

وردت إلينا منك (مجدَ الدين) بيضاء تخطر في الثياب الجون

فقد طابق بين (بيضاء– الجون) ليؤدي هذا التضاد فعله في أجواء القصيدة التي أبرزت جمال قصائد أسامة، فهي ناصعة البياض بمعانيها وصورها، كما انها تلبس السواد الذي هو المداد الذي كتبت به.

وقوله: [٣]

من الأحباب قربني ولائي ومن أعداي برأني برائي

ألا إني تجرت فكان بيعي لغير أئمتي ولهم شرائي

هنا طابق بين أكثر من عنصر (الأحباب– أعداي) وبين(قربني– برأني) و(ولائي– برائي) و(بيعي– شرائي) و(لغير– لهم)، كما أنه استخدم مع هذا الطباق لونا آخر من الألوان البديعية وهو المقابلة الذي أفاده توكيدا للمعنى الذي أراده وذلك بين شطري البيت الأول.

وقوله: [٤]

ولما نأتْ عنا على كل حالةٍ تساوى الرضا والسخطُ والقربُ والشحطُ

واضح ماجاء به من الطباق بين(الرضا– السخط) و(القرب– الشحط)، والتضاد هنا يؤدي إلى إيضاح المعنى وتقريب الصورة التي حاول ايصالها .

وقوله: [٥]

فإن تبعدوا عنا ففي حفظ ربِّكم وإن تقربوا منَّا ففي المنزل الرحب

---

(١) الصناعتين: ٢٧٦

(٢) الديوان: ١٦٤

(٣)الديوان: ٥١

(٤)الديوان: ٨٥

(٥)الديوان: ٦١

طابق الشاعر بين(تبعدوا– تقربوا)، كذلك لجأ الى المقابلة بين الشطرين التي منحت البيت جمالا من خلال الملائمة بين المعنيين .

وقوله:[١]

وكذا الكريم فمهملٌ لأموره لامهمل أبداً أمورَ صديقه

يحاول الشاعر أن يجسّد صورة الشخص الكريم وملامحه الاجتماعية المتمثله بالسماحة والجود وحفظ حقوق الآخرين من خلال ما وظف من التضاد السلب بين (مهمل – لامهمل)،[٢]

المقابلة: من المحسنات البديعية المعنوية"هي طباق متعدد عناصر الفريقين المتقابلين، وفيها يؤتى بمعنيين فأكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك المعنى على سبيل الترتيب " [٣] وذكر قدامة " وهو أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا في أحد المعنيين، فيجب أن يأتي في ما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده... " [٤]، ومن أمثلة ورودها في شعر طلائع [٥]

ونفتك بالأموال في السِّلم دائماً كما نحن بالأعداء نفتك في الحرب

إذ قابل بين (نفتك بالأموال في السلم – نفتك بالأعداء في الحرب)، وكثيرا ما أجاد في هذا الغرض، ومن ذلك [٦]

وحفظتُ في يدي اليمين ودادَه جهدي وضيع مهجتي بشماله

فتراه قد قابل بين (حفظت– ضيّع) و(في يدي اليمين –شماله) و(وداده– مهجتي) فالمعاني في الشطر الأول قابلتها أخرى لاتتلائم معها،الأمر الذي يحسب له على جمال الاختيار.

وقوله: [٧]

---

(١) الديوان: ١,٥

(٢) ينظر أمثلة من الطباق في الديوان: ٥٤،٧٧، ٨٧، ١,٩، ١١٣، ١٥٥، ١٦.، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، وغيرها

(٣)البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونه: ٢/ ٣٧٨

(٤) نقد الشعر: ١٤١

(٥) الديوان: ٥٩

(٦)الديوان:١٢٧

(٧) الديوان: ١٤٧

وآلُ حربٍ لهم صفو الفرات ولم يسمح لهم بشراب الآجنِ الاسنِ

الماء الصافي بلا كدر جعل إزاءه الشراب الآجن الآسن، وهي مقابلة في غاية التعبير.
وقوله: [١]

فان ركبوا صعباً الى النار كان لي وطيٌ مطيٍّ للجنان ذلول

هنا قابل بين (ركبوا صعبا الى النار) و(وطي مطيٍّ للجنان ذلول)، فان من يركب الفرس الصعب – وهي إشارة إلى المذهب– فانه قد اختار الفرس الذلول التي تنقاد لصاحبها بسهولة، إشارة منه إلى تمسكه بأهل البيت عليهم السلام.وهناك أمثلة أخرى [٢]

رد الأعجاز على الصدور :

أو رد العجز على الصدر، ويعرف هذا الفن البديعي عند نقادنا الأوائل (بالتصدير) وهو " أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبّهة، ويكسوه رونقا وديباجة ويزيده مائية وطلاوة"[٣] وفي الصناعتين: "فأول ما ينبغي أن تعلمه أنك إذا قدمت ألفاظاً تقتضي جوابا فالمرضيُ أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها"[٤]

وهو أن يكون احد اللفظين في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره أو صدر الثاني[٥]، فالتصدير يعني تكرار كلمات معينة في صدر البيت وعجزه مما يحصل منه نغم موسيقي عن طريق تكرار أصوات تلك الكلمات، والسبب في لجوء الشعراء لهذا الفن كونه يزيد من تماسك البيت الشعري ويوحّد نغمته. وقد ورد هذا الفن البديعي في شعر طلائع بأشكاله المتنوعة ومنها:

---

(١)الديوان: ١١٥

(٢)ينظر أمثلة المقابلة في الديوان: ٧٣، ١..، ١١١، ١١٣، ١١٥، ١٢.، ١٤٨، وغيرها

(٣) العمدة: ٣/٢

(٤) الصناعتين: ٣٥١

(٥)ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥١٥، معجم معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٩٨٦، ٢٢٨/٢،

أ- مايكون في حشو الصدر وحشو العجز: ويأتي في مقدمة أقسام رد العجز على الصدر وغالبا ما يورده الشعراء للاستمتاع بما فيه من تناغم موسيقي وإيقاعي موحد، وجاء عند طلائع بكثرة منها: [١]

أفضّلُ عطفَ الريح في رهج الوغى على معطفِ السمر الضخام المناكب

كرر الشاعر لفظة (عطف) في حشو الشطر الأول وفي حشو الشطر الثاني ليؤكد عزمه وأقدامه في مواجهة الملمات ، من خلال تفضيله ساحة الحرب على غيرها ، لأهميتها في طبع وتأكيد صورة الفارس المغوار.

وقوله: [٢]

أئمة ديني قد كسبتُ ودادَهم وما تاركٌ من دينهم مثلُ كاسب

في هذا البيت حاول الشاعر إن يستخدم قسمين من أسلوب رد العجز على الصدر الأول هو: حشو الصدر وحشو العجز (ديني – دينهم) والثاني حشو الصدر كلمة (كسبت) التي وافقت لفظة اسم الفاعل (كاسب) التي جاءت في أخر العجز لخلق التنغيم الموسيقي الجميل الذي يحكم البيت ويوحده.

وقوله :[٣]

واني لأنفي البخلَ عني لبغضه أليَّ، كما أنفي إمامَ النواصب

لفظة (أنفي) الأولى الواقعة خبرا للحرف المؤكد(انّ)، توافق (أنفي) في الشطر الثاني، ويبدو الوقع الموسيقي لتكرار حرف النون واضحا في دعم الإيقاع الداخلي الذي أبرزه التصدير.

وقوله:[٤]

وإذا أجدبتْ خواطرُ قومٍ فأحظَ من خاطري بروض نديّ

في حشو الصدرين(خواطر- خواطري) شكلا التصدير الذي بث الموسيقى الجميلة في البيت من خلال الموسيقى الداخلية مع الموسيقى الخارجية الناشئة من الوزن.[١]

---

(١) الديوان: ٥٣

(٢)الديوان: ٥٤

(٣)الديوان: ٥٣

(٤)الديوان: ١٧٢

ب- مايكون في آخر الصدر وآخر العجز:

ألا إنني أقلعت عن كل شبهة وجانبت غرقى أبحر الشبهات

يدفع الشاعر عن نفسه كل شبهة، بسبب تمسكه بآل البيت عليهم السلام، فجاء بـ(شبهة) في آخر صدر البيت و(شبهات) في آخر البيت [٢] وفي القصيدة نفسها يقول: [٣]

فإن اقل النصابُ يوماً عثارهم فأنّ إقالاتي من العثرات

وقد تناغم في هذا البيت رد العجز على الصدر في الحشو بينهما (أقل- إقالاتي) وفي حشو آخر الصدر(عثارهم) وآخر العجز(العثرات)، فتنوع الإيقاع الموسيقي من خلالهما وبخاصةٍ في غرض الرثاء، وأفاد من دلالة أول الكلام على آخره في تأكيد المعنى المراد.

وقوله:[٤]

تواليتُ مختصاً بحمل براءة ويمّمَت قوماً غيره ببراتي

لفظة(براءة) في آخر الصدر و(براتي) في آخر العجز، ويتصاعد النغم وهو يرثي الإمام الحسين عليه السلام[٥]

اقضّي زماني زفرة بعد زفرة فقلبي لايخلو من الزفرات

وصدريَ فيه حرقةٌ بعد حرقةٍ فليس بمنفكٍ عن الحرقات

في البيت الأول (زفرة- الفرات) وفي الثاني (حرقة – حرقات) وكان لتكرار (زفرة – زفرة) و (حرقة – حرقة) وتكرار حرف الزاي في البيت الأول وتكرار حرف الحاء في البيت الثاني دورٌ مهم في تصاعد الإيقاع الموسيقي منبئاً عما تكنه نفس الشاعر من الألم والحرقة.

وقوله: [٦]

هيهاتَ ساءَ صنيعُهم فيها، وما عرفوا الصنيعة

---

(١) ينظر أمثلة أخرى: ٥٢، ٥٣، ٥٣، ٥٤،١,٧، ١١٥، ١٣٨، ١٤٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، وغيرها.

(٢) الديوان: ٦٦

(٣)الديوان : ٦٨

(٤) الديوان: ٦٧

(٥) الديوان: ٦٨

(٦) الديوان: ٩٣

يؤكد مقدار الجريمة التي ارتُكبتْ بحق العترة الطاهرة ﷺ، فجاء بلفظة(صنيعهم) في آخر صدر البيت و(الصنيعة) في آخر العجز.وهناك أمثلة أخرى [١]

ج- مايكون في أول الصدر وآخر العجز:

كقوله: [٢]

تقرّبَ للرحمن إذ كان راكعاً بخاتمه في جملة القربات

لفظة(تقرب) في أول الصدر توافق (القربات) في آخر العجز، وقوله: [٣]

أتحملُ الأثقالَ إلاّ إنني لمباينيِ في الدين غيرُ حمولِ

جانس الشاعر بين لفظتي (أتحمل و حمول) من باب رد العجز على الصدر ثم سانده بالتضاد السلب من (أتحمل و غير حمول) رغبة منه في زيادة التنغيم الموسيقي والبعد الإيقاعي والوصول إلى الغاية التي يبتغيها . وهناك أمثلة أخرى [٤]

د- مايكون في حشو الصدر وآخر العجز: كقوله [٥]

ياقلب خفّضْ فالمهيمنُ عادلٌ وقد استراح من الأسى من خفضا

وقال: [٦]

كما أول الفجرين سقط يسل من حشاها كذاك البرق في جوفها سقط

وردت في الشطر الأول(سقط) وفي آخر العجز(سقط) وقوله في القصيدة نفسها :[٧]

تأمّلْ فكم شرطٍ شرطتَ عليهم قديما، وكم عذر به نقض الشرط

---

(١) ينظر الديوان: ٥٣، ٥٦، ٦.، ٦١، ٦٦، ٧.، ٧٣، ٨٩، ٩٥، ١٢٨، ١٤٧، ١٦٩،١٧٢وغيرها

(٢) الديوان: ٦٩

(٣)الديوان: ٩٤

(٤) ينظر الديوان: ٦٩، ٧.، ٩١،٩١، ٩٤، ١,١، ١,٦، ١١. وغيرها

(٥) الديوان: ٨٣

(٦) الديوان:٨٦

(٧)الديوان: ٨٧

جمع الشاعر بين أسلوبين بديعيين الأول جانس بين (شرط و شرطت) والثاني رد العجز على الصدر بين اللفظتين (شرط – الشرط) لإحداث نغمة موسيقية فعاله يتأكد بها المعنى ويتوحد البيت، وينظر أمثلة أخرى في الديوان [١].

كما ورد في الديوان استخدامه لهذا الفن من خلال التصدير لما كان في حشو الصدر وأول العجز، وماكان في آخر الصدر وحشو العجز [٢]

التورية:

من المحسنات البديعية المعنوية ومعناها" أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان، أحدهما قريب غير مقصود، ودلالة اللفظ عليه ظاهرة، والآخر بعيد مقصود، ودلالة اللفظ عليه خفية، فيتوهم السامع أنه يريد المعنى القريب، وهو إنما يريد المعنى البعيد بقرينة تشير إليه ولاتظهره إلا للإنسان الفطن" [٣] وقد ورد عند طلائع كغيره من الشعراء، فأضاف جمالية لغوية مع المعنى البديع الذي أراده، ومن ذلك قوله: [٤]

يسيرُ بها ضرغامُ في كلِّ مأزقٍ وما يصحب الضرغامَ إلا الضراغمُ

فالتورية في البيت في كلمة (ضرغام) ولها معنيان قريب غير مراد وهو (الأسد) وقد ذكر ما يلائمه وهو (الضراغم) جمع ضرغام وبعيد مراد وهو (قائد مصري) وقد ذكر ملائم هذا المعنى وهو (يسير بها في كل مأزق) فهو من التورية المجردة،فهو يريد من استخدام أسلوب التورية تحسين صورة المعنى البعيد، وقوله: [٥]

أو مـــــا بجـــــدِّك ســـــيّد الثقلـــين قاطبـــةً هُـــدينا؟

مـــن بعـــد موردنـــا شـــريعة وِردِه مـــــا أن ظَمينـــــا

---

(١) ينظر الديوان:٧٤،٧٤، ٧٥،٧٧، ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٥، ٩٨، ١٥٣، ١٤٥، وغيرها.

(٢) ينظر:٧٣، ٨٤،٩٩، ١,٥، ١١.، ١٥.، ١٥٤، ١٦٨، وغيرها.

(٣) مدخل الى البلاغة العربية: ٢٣٨

(٤) الديوان: ١٣٧

(٥) الديوان: ١٥١

التورية هنا في كلمة (شريعة) فلها معنيان احدهما قريب مورّى به وهو مكان تجمع الماء وسبب تبادره للذهن ما سبقه من كلمة (مورد) والثاني بعيد وهو السنّة الشريفة ، وقد أراده الشاعر ولكنه تلطّف فورّى عنه وستره بالمعنى القريب.

وقوله يخاطب أسامة بن منقذ [١]

أيُّها العادلُ الذي هو للدي ن شبابٌ وللحروبِ شبيبُ

فلفظة (شبيب) لها معنيان قريب مورّى به وهو الذي يوقد النار وبعيد مورّى عنه وهو شبيب بن يزيد الشيباني احد كبار الثائرين على بني أمية وكان بطلا مغوارا في الحرب،وهذا هو المراد وقد ذكر الشاعر ملائماً للمعنى البعيد وهو قوله (العادل الذي للدين شباب) وملائماً للقريب وهو (الحروب)، وهناك أمثلة أخرى في الديوان [٢].

لزوم مالايلزم:

" وهو أن يلتزم الناثر في نثره، أو الشاعر في شعره قبل روي البيت من الشعر أو الفاصلة من النثر حرفا فصاعداً على قدر قوته وحسب طاقته "[٣]، ومن أمثلة مجيئه عند طلائع بشكل عفوي: [٤]

من الأحباب قرّبني ولائي ومن أعدايَ برأني برائي

ألا إنّي تَجرت فكان بيعي لغير أئمتي ولهم شرائي

جريتُ إليهم طلقاً عناني وخلّفت السوابقَ من ورائي

فقد التزم الشاعر قبل حرف الروي (الياء) في هذه الأبيات بثلاثة حروف، هي الراء والألف والهمزة، فجاء عفويا منح النص جرسا موسيقيا جميلا تناغم مع ما فيه من جناس وطباق ومقابلة وتشبيه.

---

(١)الديوان: ٦٤

(٢) ينظر: ٦٤، ٦٩، ٩٩،١,٨، ١٣٧،١٥١، ١٥٩، ١٥٩، ١٧٤ وغيرها

(٣) فن البديع: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ١٣٢، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: ٥٣٢/٢، مدخل إلى البلاغة العربية: ٢٩٥

(٤) الديوان: ٥١

وقوله: [1]

أئمةُ حقٍ لو يسيرون في الدجى بلا قمرٍ لاستصبحوا بالمناسب

أئمة ديني قد كسبتُ ودادَهم وما تاركٌ من دينهم مثلَ كاسب

إذا رمتُ أحصي فضلَ آل محمد أردتُ معي في حصرها كلَّ حاسب

هنا التزم الشاعر بحرفين قبل حرف الروي وهما(الألف والسين)، وله قصائد كثيرة التزم فيها بحرف واحد قبل حرف الروي، ومثلها أيضا التزم فيها بالحركة، ومن ذلك الكثير:[2]

ما موقع الإجماع فيه ومعشر جروا لأخذ العهد بالتنكيل

والخزرجيُّ[3] وغيره أضحى لـه في القيد تحت الضرب رجعُ الليل

أيصحُ إجماعٌ وقومٌ جلُّهم ما بين مسحوبٍ وبين قتيل

فجاء بحرف الياء قبل حرف الرويّ (اللام)، وتوزعت أبيات قصيدته الأخرى بين الواو والياء قبل حرف الروي، دون تكلف وإنما جاءت كاستجابة للمعنى

---

(١)الديوان: ٥٤

(٢)الديوان: ١١٢

(٣) الخزرجي: سعد بن عبادة زعيم الخزرج واحد من المعارضين لخلافة أبي بكر وعمر، والد قيس بن سعد من أصحاب الإمام علي عليه السلام.

الخاتمة:

لعلَّ الختام يكون أكثر حرجاً مما سبقه، لأنه بمثابة إسدال الستار، وطيّ الصفحات الى غير رجعة، مع رحلة طويلة في صفحات الكتب القديمة والحديثة، بحثاً وتنقيباً واستنتاجاً وتحليلاً، رحلةٍ بقدر جهدها الاّ أنها كانت ممتعة، وهي تحاول أن تنثر الغبار عن شخصيةٍ لم تنل نصيبها من العناية كقامةٍ كبيرة في السياسة والأدب في عصر آذن بالوصل إلى أعتاب الأسماء الكبيرة في أُخرياته بمئةِ عامٍ قُبَيل سقوط بغداد.

ولكن،لا بدَّ من خاتمة للبحث، وفيها تكون الإشارة إلى نقاط قد تكون أكثر أهمية من غيرها:

- لم يرد في المصادر شيءٌ عن طفولة الشاعر ولاعن شبابه –الاّ ماذكره المقريزي عند وصوله إلى مدينة النجف الأشرف التي كانت فاتحة دخوله مصر– كذلك لم نعرف عن مدة إقامته في صعيد مصر قرابة عشرين عاما الاّ النزر القليل ، مع أهمية هذه المدة في حياته وفي مستقبل الفاطميين فيما بعد.
- بقي طلائع على مذهبه الشيعي الإمامي الإثني عشري، ولم يغيره إلى الإسماعيلية مع أنّ الدولة الفاطمية كلها شيعية إسماعيلية وهو النائب عن الخليفة والرجل الأول من الناحية الفعلية، بيده أمورها الداخلية والخارجية، وهذا يدلل على قوته في معتقده من جانب وحاجة الدولة اليه من جانب آخر على الرغم من مخالفته إيّاهم في هذا المبدأ.
- جمع الشعراء الكبار من حوله في وزارته، فكان له الفضل في إخراج عدّة دواوين شعرية ملأت الساحة الأدبية بأجمل القصائد– وان كان أكثرها قد فقد بسبب الأيوبيين– فخلدوه شاعراً ووزيراً وجندياً عتيداً في قتال الفرنج .
- أغفلت أغلب المصادر دوره السياسي الخطير في حقبة مهمة من الوجود الفاطمي في مصر، لا بل الإسلامي كونه يمثل الإسلام في قتاله براً وبحراً مع الصليبيين، ولاسيّما أنه كان الأوحد في دولته من سنة(٥٤٩– ٥٥٦هـ)، والشوكة العتيدة بوجه الأعداء، ولم تلبث بعده الاّ قليلا فتلاشت على يد أعدائها من الزنكيين .
- افتخر بنسبه إلى والده (رزّيْك) أكثر من نفسه مما يؤكد عراقة نسبه، كما افتخر بقصائده وعدّها قلائد يزيّن بها ممدوحيه في السلم وسيوفا وسهاما تقطع دابر الأعداء.
- كان لثقافته الدينية أثرٌ بارزٌ في شعره لا سيّما اقتباساته الجميلة من القران الكريم، ورسم الصورة التي أرادها لمن مدحهم ورثاهم –أهل البيت عليهم السلام– تبعا لحفظه القران وتمسكه به.

- ديوان الشاعر عبارة عن رسالة مفتوحة يقرأها الجميع، يؤكد فيها ولاءه المطلق وتمسّكه القوي بالنبيّ ﷺوأهلُ بيته عليهم السلام وتحديه لمن يبغضهم، وكان شديداً في ذلك إلى حد كبير جداً.
- برزت في ديوانه ظاهرة هامّة في الشعر العربي – تحتاج إلى تسليط الأضواء عليها– وهي المراسلات الشعرية بينه وبين الشاعر أسامة بن منقذ، تبادلا فيها مشاعر الود والمحبة، مع تسجيلها لمرحلة حسّاسة في تأريخ المسلمين في مصر والشام وقتالهم مع الأعداء، فيستحق طلائع أن يطلق عليه بحق (شاعر قضيّة) وكان لأسامة جهدٌ يحسب له عندما جمع هذه الرسائل– القصائد الشعرية– فحفظ لنا شيئاً من تراث طلائع والأدب العربي السياسي.
- كان الشاعر على الرغم من بسالته مع الأعداء، الاّ أنه يحمل روح الأديب الشفافة متأثراً بتربيته الدينية وبخاصةٍ الشيعية التي تميل الى الحنوّ والإيثار، فجمع في بلاطه الأدباء والفقهاء من شتى المذاهب، وأقربهم اليه عمارة اليمني الشافعي.
- في شعره سلاسة وموسيقى ظاهرة – وان غلبت عليه روح النثرية – فقد عُني بالعبارة ولاءم بين أجزاء الكلام، وبثّ في قصائده موسيقى داخلية أكسبتها تلوينا صوتيا خاصاً.
- وظّف البحور الطويلة مثل: الكامل والطويل والبسيط... أكثر من القصيرة، ليأخذ فسحته في التفصيل وسرد الأحداث وذكر مناقب الممدوح والمرثيّ.
- حرص كثيراً على أن يشاركه القارئ والسامع في رسم نهايات الأبيات، من خلال تصريعه في(٤٤) قصيدة من مجموع (٨٢) قصيدة في الديوان.
- آثر القوافي المطلقة على المقيّدة في شعره، واختار ما سهلَ منها ولانَ والتي أغنت شعره ووسمته بالعفوية، مع استخدامه لألوان البديع كالجناس والطباق والتورية وغيرها التي أغنت صوره الشعرية وزيّنتها بإيقاع داخلي بهيّ.
- التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، كلها كان لها حضورٌ في الديوان بيد أنها لم تخرج عمّا سبقها من الصور عند الشعراء، فكانت تقليدية اغلبها تسير على نهج القدامى على الرغم من أنه أبدع في أغلبها.

ولايمكن لهذه الدراسة أن تفي الشاعر حقّه، لأن أغلب شعره قد ضاع أو ضُيِّع ولكنها إطلالة ربّما تؤرخ شيئا مما مضى –فقليل الخير أفضل من عدمه – وقد مرّ في البحث نتائج ونقاط أخرى مهمة تستحق الوقوف عندها، يمكن للقارئ الكريم أن يلمحها.

المصادر والمراجع

القران الكريم

١. أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية: علي حسني الخربوطلي، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر ط١، ١٩٧٢
٢. الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، مكتبة الشباب ،مصر، ط١، ١٩٨٨م
٣. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلف: المقريزي، تحقيق د. محمد حلمي محمد أحمد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٦م
٤. أدب الطف أو شعراء الحسين عليه السلام: جواد شبّر، دار المرتضى ، بيروت، ط١، ١٩٨٨ م
٥. الأدب العربي في مصر من الفتح الإسلامي الى نهاية العصر الأيوبي: محمود مصطفى، دار الكتاب العربي ،القاهرة، ط١، ١٩٦٧م
٦. أدب المحنة او شعراء المحسن بن علي : السيد محمد الحلو، قم المقدسة ، ايران ، ١٤١٨هـ
٧. الأدب في العصر الفاطمي (الشعر والشعراء): محمد سلام زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب. ت
٨. الأدب في العصر الفاطمي (الكتابة والكتاب): محمد سلام زغلول، منشأة المعارف، الإسكندرية، ب. ت
٩. الأدب في بلاد الشام عصر الزنكيين والأيوبيين والمماليك : عمر موسى باشا، المكتبة العباسية، دمشق، ط٢ ، ١٩٧٢ م
١٠. الأساليب الإنشائية في النحو العربي :عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط٥ ، ٢٠٠١م
١١. الاستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالية: د . يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر، الأردن، ط١، ١٩٩٧ م
١٢. الأسس الجمالية في النقد العربي – عرض وتفسير ومقارنة: د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي ، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م
١٣. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.
١٤. أسس النقد الأدبي عند العرب: د. أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٩٦ م
١٥. الأسلوب: أحمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية ،ط٨، ١٩٩١ م
١٦. الإسماعيلية تاريخ وعقائد:إحسان الهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، ب. ط ١٩٨٧م
١٧. أصول النقد الأدبي : أحمدالشايب ، مطبعة النهضة المصرية ، ط١٠، ١٩٩٤ م
١٨. انباه الرواة على أنباه النحاة: جمال الدين القفطي، تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي، القاهرة– مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٦ م

١٩. أنوار الربيع في أنواع البديع: علي بن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٨م
٢٠. أوزان الشعر :مصطفى حركات، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٨٨ م
٢١. بحور الشعر العربي (عَروض الخليل): د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٩٢ م
٢٢. البداية والنهاية : ابن كثير ، تحقيق د. عبد الله التركي ،مطبعة هجر، مصر، ط١، ١٩٩٨م
٢٣. بدائع البدائه: جمال الدين علي بن ظافر(٦١٣هـ) تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧ م
٢٤. البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني، دار القلم- دمشق، دار الشامية- بيروت، ط١، ١٩٩٦ م
٢٥. البلاغة والنقد : علي حسن هذيلي، مكتبة سفينة النجاة ، العراق، ميسان، ط١، ٢٠٠٦ م
٢٦. بناء الصورة الفنية في البيان العربي – موازنة وتطبيق –، د. كامل حسين البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط ١، ١٩٨٧م.
٢٧. البناء العروضي للقصيدة العربية: د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م
٢٨. بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث): د. يوسف حسين بكّار، دار الأندلس ، بيروت، ط٢، ١٩٨٢ م
٢٩. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الثاني :د. مرضيه آباد، طهران، ط٣، ١٣٩١ش، ٢٠١٢م
٣٠. تاريخ الأدب العربي: عمر فرّوخ، دار العلم للملايين،بيروت، ط٥، ١٩٨٥ م
٣١. تاريخ الدعوة الإسماعيلية : مصطفى غالب، دار الأندلس ، بيروت، ط٢، ١٩٦٥ م
٣٢. تاريخ الدولة الفاطمية: د. محمد جمال الدين سرور ، دار الفكر العربي ، مصر ، ط٢، ١٩٩٥ م
٣٣. تاريخ وآثار مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الفاطمي: د. أحمد عبدالرزاق أحمد ، دار الفكر العربي ،مصر، ط١، ١٩٩٩ م
٣٤. تذوق النص الأدبي : د.سامي يوسف أبو زيد ، دار المسرّة، الأردن، ط١، ٢٠١٢ م
٣٥. جرس الألفاظ في البحث البلاغي والنقدي عند العرب : د. ماهر مهدي هلال ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٠م
٣٦. الجملة العربية تأليفها وأقسامها: د. فاضل صالح السامرائي، دار الفكر العربي، الأردن، ط٢، ٢٠٠٧ م
٣٧. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع: أحمد الهاشمي، منشورات اسماعيليان- قم، ط٤، ١٤٢٨ هـ
٣٨. حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر، ط١، ١٩٦٨ م
٣٩. الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام :د.أحمد أحمد بدوي، دار نهضة مصر للطباعة، ط٣، ٢٠١٠ م
٤٠. خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر): عماد الدين الأصبهاني الكاتب، تح: أحمد أمين، شوقي ضيف ، إحسان عباس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٥١ م
٤١. دراسات بلاغية ونقدية: د. أحمد مطلوب، دار الحرية ،وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ١٩٨٠ م
٤٢. دراسة ونقد في مسائل بلاغية هامة: محمد فاضلي، جامعة فردوسي مشهد-إيران، ط٣، ١٣٨٨، هـ. ش

٤٣. دلائل الإعجاز :عبد القاهر الجرجاني، تحقيق ، محمود محمد شاكر،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١/ ٢٠٠٠م
٤٤. دور القبائل العربية في صعيد مصر منذ الفتح الإسلامي حتى قيام الدولة الفاطمية وأثرها في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية: ممدوح عبد الرحمن الريطي ، مكتبة مدبولي ، مصر، ط١، ب٠ت
٤٥. الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد: د. أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية،مصر، ط١، ١٩٩٢م
٤٦. دير الملاك ، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر: د. محسن إطيمش، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ط ٢، ١٩٨٦م.
٤٧. ديوان أسامة بن منقذ: تحقيق :أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، عالم الكتب، بيروت –لبنان، ط٢، ١٩٨٣م
٤٨. ديوان المتنبي: شرح أبي البقاء العكبري (التبيان في شرح الديوان)، تح،مصطفى السقا،إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة ، بيروت، ب.ط، ١٩٨٧م
٤٩. ديوان طلائع بن رزيك: تحقيق : محمد هادي الأميني، المكتبة الأهلية، النجف الأشرف، ط١، ١٩٦٤م
٥٠. ديوان طلائع بن رزيك:تحقيق: أحمد أحمد بدوي،مكتبة نهضة مصربالفجالة، مصر،ط١، ١٩٥٨
٥١. روضة الفصاحة: محمد بن بكر الرازي، تحقيق :خالد الجبر، دار وائل للنشر، ط١، ٢٠٠٥ م
٥٢. الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: أبو شامة المقدسي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط١، ٢٠٠٢م
٥٣. السنن الكبرى :النسائي : أحمد بن شعيب (٣٠٣هـ) دار الكتب العلمية بيروت ، ط١، ١٩٩١ م
٥٤. سير أعلام النبلاء: الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة ،بيروت، ط١، ١٩٨٣ م
٥٥. شخصية الدولة الفاطمية في الحروب الصليبية :فهمي توفيق محمد مقبل ، ب. ت
٥٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي ، تح، عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار كثير للطباعة ، دمشق–بيروت، ط١ ، ١٩٨٩ م
٥٧. شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام:محمد علي الهرفي، دار المعالم الثقافية، ، السعودية، ط١، ١٩٧٩ م
٥٨. شعر المهذب بن الزبير:جمع وتحقيق ودراسة: محمد عبد الحميد سالم ،هجر ، مصر، ط١، ١٩٨٨ م
٥٩. شهداء الفضيلة :عبد الحسين الأميني ، مؤسسة الوفاء ، بيروت –لبنان ، ط٢، ١٩٨٣ م
٦٠. صحيح البخاري:البخاري،محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ ٨٦٩م) ،دار الفكر، بيروت ، ١٩٨١ م .
٦١. صلاح الدين الأيوبي وعصره: محمد فريد ابو حديد، دار الكتب المصرية، مصر، ط١ ، ١٩٢٧ م
٦٢. الصناعتين:الكتابة والشعر: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي– محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦ م
٦٣. الصورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله ، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨١م
٦٤. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: د. جابر عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢ م

٦٥. الطليعة من شعراء الشيعة: محمد السماوي، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م
٦٦. الأعلام ، قاموس تراجم ، خير الدين الزركلي ، ط٦ ، المجلد الثالث ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٤ .
٦٧. عصر الدول والإمارات – مصر – : شوقي ضيف،دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٩٠م
٦٨. عضوية الموسيقى في النص الشعري : د. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الأردن، ط ١٩٨٥،١م.
٦٩. عقائد الإمامية: محمد رضا المظفر، ط٢، ١٨٣٠ هـ.
٧٠. علم الأصوات: د . كمال بشر، دار غريب ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م
٧١. علم البديع ،دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع: د. بسيوني عبد الفتاح فيّود، مؤسسة المختار للنشر، مصر، دار المعالم الثقافية للنشر، السعودية، ط٢، ١٩٩٨ م
٧٢. علم اللغة : د. حاتم صالح الضامن ، وزارة التعليم العالي – العراق، ط١، ١٩٨٩م
٧٣. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت:٤٥٦هـ)،تحقيق:محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل ،بيروت،ط٥، ١٩٨١م
٧٤. عيار الشعر: ابن طباطبا العلوي، تحقيق، عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط٢،٢٠٠٥ م
٧٥. عيد الغدير في عهد الفاطميين: محمد هادي الأميني، مطبعة القضاء ، النجف الأشرف، ب٠ت
٧٦. عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية: أبو شامة المقدسي ، تحقيق : أحمد البيسومي ، دار أحياء التراث العربي ، دمشق، ط١ ، ١٩٩١ م
٧٧. الغدير في الكتاب والسنة والأدب: العلاّمة الأميني، مؤسسة الأعلمي ، بيروت،ط١، ١٩٩٤م
٧٨. الغزل في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت ، ب. ت
٧٩. الفخر في الشعر العربي: سراج الدين محمد، دار الراتب الجامعة، بيروت ، ب. ت
٨٠. فن البديع: د. عبد القادر حسين، دار الشروق، بيروت، ط١، ١٩٨٣ م
٨١. فن المديح وتطوره ، احمد أبو حاقه ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٦٢م.
٨٢. الفن ومذاهبه في الشعر العربي: شوقي ضيف، دار المعارف ، مصر، ط١١، ب٠ت
٨٣. في أدب مصر الفاطمية : محمد حسين كامل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط١، ١٩٥٠ م
٨٤. في البلاغة العربية ،علم المعاني،البيان، البديع: د. عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية ، بيروت، ط١، ب. ت
٨٥. في التراث والشعر واللغة: د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م
٨٦. في النقد الأدبي القديم عند العرب : د. مصطفى عبد الرحمن ابراهيم ،مكة للطباعة، مصر، ط١، ١٩٩٨ م
٨٧. في النقد الأدبي:د. شوقي ضيف ،دار المعارف، مصر، ط٩، ٢٠٠٤ م
٨٨. قراءة الصورة وصور القراءة: د. صلاح فضل، دار الشروق ،مصر، ط١، ١٩٩٧ م
٨٩. قضايا النقد الأدبي: د. بدوي طبانه، دار المريخ، السعودية، ط١، ١٩٨٤ م

٩٠. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦ م
٩١. كنز الدرر وجامع الغرر،ج٦- الدرة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية : الدَّواداري، تحقيق: صلاح الدين المنجد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٦١ م
٩٢. كنوز الفاطميين : زكي محمد حسن، دار الرائد العربي ، بيروت ، ط١، ١٩٨١ م
٩٣. لامية الطغرائي:تحقيق:د.علي جواد الطاهر، د. يحيى الجبوري، دار القلم، الكويت، ١٩٨٣م
٩٤. لسان العرب المحيط، ابن منظور، (ت ٧١١ هـ)، اعداد وتصنيف : يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت، (د. ت).
٩٥.مجموعة الوثائق الفاطمية: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ٢٠٠٢ م
٩٦. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ابن الأثير: تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر،ط٢، ١٩٧٣م
٩٧. مجموعة الوثائق الفاطمية: جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط١، ٢٠٠٢ م
٩٨. مدارس النقد الأدبي الحديث : د. محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٥ م
٩٩. مدخل الى البلاغة العربية:د.يوسف أبو العدوس، دار المسيرة للنشر والتوزيع،الأردن،ط١، ٢٠٠٧
١٠٠. المديح:سامي الدهان، دار المعارف- مصر، ط٥ ،١٩٩٢م
١٠١. المرأة في مصر في العصر الفاطمي : نريمان عبد الكريم أحمد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر، ط١، ١٩٩٢ م
١٠٢. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د. عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٧٠ م
١٠٣. المستدرك على الصحيحين:الحاكم:محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١، ١٩٩٠م
١٠٤. مستدركات أعيان الشيعة: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت، ط٢، ١٩٨٧ م
١٠٥. مصر الشاعرة في العصر الفاطمي: محمد عبد الغني حسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٨٣ م
١٠٦. مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت ، ط٤، ١٩٨٦
١٠٧. مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية: د. عبد الحليم حفني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط١، ١٩٨٧ م
١٠٨. معجم الأدباء ياقوت الحموي ، تحيقيق، د.إحسان عباس، دار الغرب ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٩٣ م
١٠٩. معجم البلاغة العربية: د. بدوي طبانة، دار المنارة-جدة، دار الرفاعي- الرياض ، ط٣، ١٩٨٨ م
١١٠. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ط١، ١٩٨٦
١١١. معجم النقد العربي القديم : د. أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية، بغداد،ط١، ١٩٨٩ م
١١٢. معجم تراجم الشعراء الكبير: د. يحيى مراد، دار الحديث ، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦ م
١١٣. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:د. حسين عطوان،دار المعارف ، مصر، ١٩٧٠ م
١١٤. مقدمة القصيدة العربية في العصر العباسي الأول:د. حسين عطوان،دار المعارف ، مصر، ط١، ١٩٧٤م

١١٥. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٩١ م
١١٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية): تقي الدين المقريزي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧م
١١٧. موسيقى الشعر العربي دراسة فنية وعروضية : د. حسني عبد الجليل يوسف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط . ب،١٩٨٩م
١١٨. موسيقى الشعر العربي: إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط٤، ١٩٧٢م
١١٩. النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة– القسم الخاص بالقاهرة – :تحقيق، د. حسين نصّار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ط١، ١٩٧٠ م
١٢٠. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : جمال الدين بن تغري بردي ، تحقيق، محمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت– لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢ م
١٢١. نسمة السحر بذكر من تشيع وشعر: ضياء الدين الصنعاني، تحقيق: أحمد المهدي الدامغاني، طهران، ١٣٨٠ هـ. ش .
١٢٢. النقد الأدبي:أحمد أمين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ،ط١، ١٩٥٢م
١٢٣. النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية: عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط٣، ٢٠٠٥م
١٢٤. نقد الشعر: قدامة بن جعفر(٣٣٧هـ)، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية ،بيروت، ب، ت
١٢٥. النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية: عمارة اليمني، اعتنى بتصحيحه: هرتويغ درنبرغ، مطبعة مرسو، ط١ ، ١٨٩٧ م
١٢٦. نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين النويري، تح: د.نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٤ م
١٢٧. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية : ابن شداد، تحقيق، د. جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٤ م
١٢٨. الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تح:أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م
١٢٩. الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية،بيروت، ط١، ٢٠٠٦م
١٣٠. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، تحقيق:د.احسان عباس، دار صادر ،بيروت / د٠ت

المجلات والدوريات

١. التناص الديني في شعر طلائع بن رزيك: ثناء نجاتي عياش، دراسات ، العلوم الإنسانية والاجتماعية ، مجلد ٣٢، العدد٢، ٢٠٠٥

الرسائل الجامعية

١. أثر الصراع بين الوزراء العظام خلال العصر الفاطمي الثاني على سياسة مصر الداخلية والخارجية(٤٦٥هـ-٥٦٧هـ) ، مصطفى عبد الحفيظ خميس ، إشراف ا.د: محمد محمود إدريس، جامعة المنيا، مصر، ٢٠٠١م

٢. البناء الفني في شعر عمر أبو ريشة: محمد خالد عواد الحيصة ، جامعة الشرق الأوسط ، ٢٠١٠-٢٠١١

٣. شعر أبي البقاء الرندي دراسة موضوعية- فنية : غسان حميد العزاوي، إشراف: الدكتورة أمل ناجي الدليمي جامعة بغداد، ٢٠٠٤ م

٤. شعر الرصافي الرفاء البلنسي دراسة موضوعية فنية : خالد شكر محمود ، إشراف الدكتور: عبد الرحمن كريم عذاب اللامي ،رسالة ماجستير، كلية التربية -جامعة بغداد ، ٢٠٠٣ م

٥. شعر طلائع بن رزيك : دراسة بلاغية :زمان عطا نجم اللامي، إشراف: أ. م. د رحمن غركان عبادي ، جامعة القادسية، ٢٠٠٦ م

٦. الشعر في بلاط بني رزيك: دراسة فنية: أماني زين كامل الخويسكي، إشراف ا. د. فوزي محمد أمين ،جامعة الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٩ م

٧. الصورة المجازية في شعر المتنبي ، خليل رشيد فالح ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة بغداد ، ١٩٨٥م

٨. صور الخوف في شعر القرن الثالث الهجري: علي رضوان علي عبدالهادي، جامعة الزقازيق، مصر، دكتوراه، ٢٠٠٩ م

٩. فن الرثاء في الشعر في العصرين الفاطمي والأيوبي: خلود يحيى أحمد جرادة،الجامعة الأردنية، ٢٠٠١